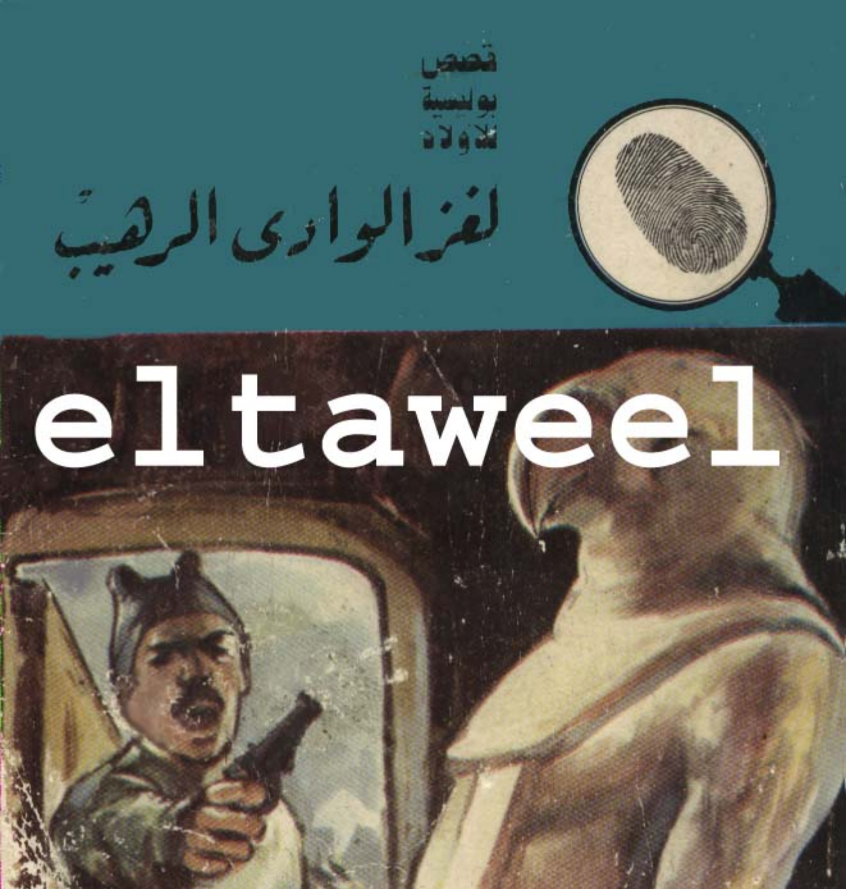

قصص
بوليسية
للأولاد
لغز الوادى الرهيب
eltaweel

الغلطة الكبيرة

علمنـــا أن المغامرين الثـــلاثة : « عــامر » ، و « عارف » ، و « عالية » ، قد تمكّنوا من حـــلّ لغز الخريطة العجيبة فى مغامرتهم الأخيرة . وأنهم قد توصلوا فى النهاية إلى العثور على الكنز الثمين !

العقيد « ممدوح »

وما إن رجعوا إلى القاهرة من مرسى مطروح ، حتى كانت نتيجة الامتحان النهائى فى انتظارهم ، وهى النجاح الباهر بتفوّق ممتاز . وهى المكافأة الثمينة التى كانوا يستحقّونها .

كانوا يلتفّون حول والدهم ووالدتهم وهم يتجاذبون معهما أطراف الحديث . ويذكرون جدّهم الطيّب « عمران » بالخير الكثير .

والآن هم فى انتظار وصول « سمارة » من مرسى مطروح .

بعد أن أقنعوا والدهم باستدعائه لاستكمال دراسته معهم فى القاهرة ، وليعيش معهم تحت سقف واحد كأخ رابع .

وقد وافق الجدّ « عمران » على هذا الاقتراح عن طيب خاطر ، مكافأة « لسمارة » المخلص الأمين ، الذى كان سبباً فى إنقاذ حياته من بين يدى « مبروكة » وابنها « سلطان » !

وصل « سمارة » إلى المنزل ، وقد أصبح الآن ثريًّا بعد أن حصل على نصيبه من الكنز . وكان يحمل فى يده قفصاً جميلاً من السلك المزخرف ، بداخله الببغاء الذكية فصيحة اللسان « زاهية » ، آثر أن يصطحبها معه إلى القاهرة ، كهدية لطيفة منه إلى عائلته الجديدة .

وما إن رأته « عالية » وهو يمسك بالقفص الجميل فى يده ، حتى بادرته بالسؤال : وأين معزتك « ظريفة » يا « سمارة » ؟ .

فضحك وأجابها : تعذّر اصطحابها معى فى القطار ، فوهبتها إلى أحد الفقراء ليعتنى بها ، بعد أن شبّت ونمت وبرأت ساقها .

فرح المغامرون الثلاثة برؤية « زاهيه » . أما القط الأسود « مرجان » فكان له معها شأن آخر ! . إذ كشّر لها عن أنيابه ، وماء فى وجهها ، فهو قد شعر بغريزته أنها ستكون منافساً قويًّا له فى تدليل العائلة له .

ولم يكن هناك حديث للمغامرين الثلاثة إلاّ عن رحلتهم المقبلة إلى ساحل البحر الأحمر ، خلال إجازة نصف السنة الدراسية التى كانت ستبدأ بعد أيام معدودات .

فقد اقترح خالهم « العقيد ممدوح » أن يصطحبهم معه إلى هذه البقعة الجميلة من أرض مصر ، ليروحوا عن أنفسهم من عناء الدراسة . وقد وافق والدهم على هذا الاقتراح ، ولكنه اشترط ألاّ يزجّوا بأنفسهم – كعادتهم – فى مغامرات جديدة ، وكفاهم ما حدث فى مرسى مطروح . أما والدتهم فقد اعترضت على هذه الرحلة معارضة شديدة . فهى تعلم أن أولادها الثلاثة يتخذون من أخيها مثلاً أعلى ، يحتذون به فى المغامرة والمخاطرة ، وهى الصفات التى كانت تحتمها عليه طبيعة عمله ومهنته فالعقيد « ممدوح » هو قائد سلاح السواحل فى محافظة البحر الأحمر ، ومركز قيادته فى ميناء « الغردقة » ، وهى إحدى المراكز الهامة لاستخراج البترول فى منطقة الخليج . وله فى هذه المدينة منزل جميل بالقرب من شاطئ البحر .

واشتهر العقيد « ممدوح » بين إخوانه فى سلاح السواحل بمغامراته المثيرة فى تعقّب المهرّبين والمجرمين فى هذه المنطقة.

ويحدّ هذه المنطقة من الشرق ، البحر الأحمر وخليج

السويس . أما من الغرب فتحدّها الصحراء الشرقية ، التى تشتهر بأوديتها ومسالكها ، حتى تصل وادى النيل . وتمتد فيها سلسلة الجبال والتلال الصخرية التى تبدأ من مدينة السويس . حتى تصل إلى إثيوبيا . وهى السلسلة الصخرية الوحيدة فى مصر كما أنها تتميز بالسيول المدمرة التى تجرف أمامها كتل الصخور الملساء ، تسدّ بها الممرّات الجبليّة ، حتى تصل إلى الطريق الساحلى الجميل والوحيد الذى يصل شمال مصر بجنوبها على شاطئ البحر الأحمر ، فتقطعه وتجعله غير صالح للعبور !

وتشتهر هذه الجبال بكهوفها العجيبة التى نحتتها المياه المتدفقة على مر الملايين من السنين عبر التاريخ ، ومنذ أن حدث الانشقاق فى القشرة الأرضية فى هذه المنطقة من إفريقيا . هبطت الأرض وتكوّن البحر الأحمر . وارتفعت على جانبيه سلسلة الجبال الصخرية العالية !

° ° °

وصل العقيد « ممدوح » فاستقبلوه بالترحاب والتهليل وجلسوا يتشاورون فيما بينهم فيما يجب عمله بشأن الرحلة فأخبرهم العقيد « ممدوح » أنهم سيبدءون رحلتهم بعد يومين . أى فى أول يوم من بدء إجازة نصف السنة . وسيكون السفر

بطائرة خاصة صغيرة ، تملكها شركة « شل » للبترول بالغردقة . وذلك لأن الطريق بالسيارة مرهق طويل ، فضلاً عن أن السيول قد قطعت بعض أجزاء الطريق البرىّ الساحلىّ وأضاف أن الطائرة ستصل إلى مطار القاهرة الدولى من الغردقة فى الثامنة مساء ، لتقلهم إلى الغردقة فى الحادية عشر ، فيصلونها قبل الفجر !

كان الفرح يغمر الأربعة الصغار . فلا شك أن الرحلة مثيرة غير عادية . فالسفر بطائرة خاصة ستقطع بهم أجواء مصر فى بهيم الليل ، وإلى مكان جديد سمعوا عنه الكثير ولكنهم لم يروه ! . فانهالت الأسئلة على الخال « ممدوح » . سألوه عن الشّعاب المرجانية الجميلة التى تشبه الحدائق الملوّنة بأشجارها وأزهارها . وعن جزيرة « شدوان » الباسلة التى قاومت الغزو الإسرائيلى ، وفنارها الذى يحذّر السفن من الجزر الصخرية ، والشعاب المرجانية التى تقع على مدخل خليج السويس . وعن استخراج البترول من الأرض ومن عرض البحر الأحمر وخليج السويس ، وعن الصيد تحت الماء بالحربة . وعن « عروس البحر » ، ذلك الحيوان البحرى الذى يشبه المرأة الجميلة فى تكوينها ، وعن المميزات التى ينفرد البحر الأحمر

بها دوناً عن باقى بحار العالم أجمع ، وعن متحف الأحياء المائية بالغردقة . وهكذا توالت الأسئلة حتى كان خالهم « ممدوح » لا يجد الوقت الكافى للردّ على استفساراتهم المتلاحقة !..

سألته « **عالية** » : هل يمكننى أن أصيد سمكة « قرش » صغيرة لأضعها فى « فسقية » الحديقة ؟ .. وسأسمّيها « الفاتك المفترس » ! فأجابها وهو يضحك : هذا مستحيل ! فالقرش لا يعيش إلاّ فى المياه الفسيحة الدافئة شديدة الملوحة ، ذات المرعى الخصيب بالسمك . فهو لا يتوقف عن الحركة والأكل ليلاً أو نهاراً . وهو إذا توقّف عن الحركة غرق ! لذلك فهو لا يعرف النوم .. هكذا خلقه الله ..

فسألته « **عالية** » : وكيف يغرق القرش ؟

فأجابها : لأن ليس له كيس هوائى كبقية الأسماك يطفو به فى الماء ! فلا بدّ له من الحركة المستمرة والأهم من ذلك ليس للقرش خياشيم يتنفس منها !

ولما كان « عامر » قد شرع أخيراً فى دراسة علم الحيوان والطير والحشرات والأسماك ، فقد أخذ يتابع حديث خاله باهتمام بالغ ، وسأله : إذن كيف يتنفّس القرش ؟ فأجابه : إن القرش و « المانتا » البحرية الهائلة ذات السوط اللاسع السّام هما

المخلوقان الوحيدان اللذان لم يطرأ على تكوينهما تطوير يذكر منذ بدء الخليقة حتى الآن ! . فلحمهما عضلات ، وعظامهما غضاريف . وهذا هو سبب قوّتهما الخارقة ! والقرش يتنفس من خلال خمس فتحات على كل جانب من رأسه ، يدخل منها الماء فى أثناء اندفاعه السريع ، حيث يمرّ فى جهازه الداخلى ، فيمص منه الأوكسيجين اللازم لحياته . فهو إذا توقف عن العوم ، توقّف الماء عن الاندفاع داخل الفتحات ، وتوقف عنه الأوكسيجين !! فيموت !! فالقرش هو المخلوق المسكين الوحيد الذى لا ينام ، ولا يتوقّف عن الحركة والأكل لحظة واحدة – سواء أكل سمكاً أو خشباً أو صفيحاً إلخ – .

وكان « سمارة » يلزم الصمت فى أثناء الحديث الطويل ، فهو يعلم الكثير عن الأسماك بحكم إقامته الدائمة على شاطئ مطروح . ولكنه سأل العقيد « ممدوح » أخيراً : هل يسمح له باصطحاب الببغاء « زاهية » معهم فى الطائرة ؟ فأجابه بالإيجاب ، على ألاّ تغادر قفصها ! أما القط « مرجان » **فلا مكان له فى الطائرة ، وهو ما سبّب الحزن العميق « لعارف » .**

وكانت « زاهية » تتبع الحديث وكأنها تشاركهم فيه ، وهى تعوّدت على الانطلاق فى المنزل بحريّة ، تطير حتى تقف



سأل « سمارة » العقيد « ممدوح » هل يسمح له باصطحاب الببغاء « زاهية » معهم فى الطائرة ؟

على كتف « سمارة » تارة ، أو « عالية » تارة أخرى ، تداعبها بمنقارها المقوّس فى أذنها ، أو فى شعرها المسترسل . وكانت دائمة الثرثرة تكرّر كل ما يطرق سمعها من أصوات وكلمات .

* * *

وفى صبيحة يوم السفر ، انهمكت العائلة كلّها فى ترتيب ما يلزم الرحلة . فشرعت الأم فى تجهيز الطعام الخفيف . فملأت سلّة كبيرة بالسندويتشات المختلفة ، والبسكويت ، والشيكولاتة ، و « كيكة » كبيرة محشوة بالزبيب .

أما الصغار الأربعة فقد تزوّد كل منهم بملابسه الخاصة بالرحلات ، ووضعها فى حقيبته ، و « ترموس » للمياه . واهتم « عامر » بصفة خاصّة بمراجعة بعض الأدوات التى لا غنى له عنها فى رحلاته الكثيرة ، وهى : البوصلة ، والمنظار المعظَّم ، والمدية ، وفتاحة العلب ، والحبل ، والبطارية الكهربائية .

وكان العقيد « ممدوح » قد أشار عليهم بكل ما يلزم ، ونصحهم بصفة خاصة بالتزوّد بالبطاطين وبكليم ، فالجو بارد ليلاً على شاطئ البحر ، أو فى الصحراء ، فى مثل هذا الوقت من العام ، وهو ليس لديه منها ما يكفى الأربعة .

أما « سمارة » فكان أهمّ ما يشغل باله ، هو الحصول على

كمية كافية من بذور زهرة « عبّاد الشمس » الصفراء الجميلة
التى تواجه الشمس مع شروقها وغروبها وتدور معها .

حان وقت الوداع عندما وصل العقيد « ممدوح » بسيارته
ليتجه بهم إلى المطار . وكان الوالدان يلحّان على « ممدوح »
فى ألاّ يشرك الصغار معه فى مغامراته المعهودة . فوعدهما بذلك .
وقال لهما لا داعى لقلقهما ، فالمكان هناك هادئ منعزل ،
ولا مجال فيه للمغامرة والمخاطرة . وأنه سيكون مشغولاً عنهم
فى عملية خاصة ، سوف تملأ عليه كل وقته ! ولما سأله « عامر »
عن هذه العملية الخاصة أجابه : هى عملية سريّة خطيرة ،
سأخبركم بتفاصيلها بعد إنجازها !

تحرّكت بهم السيارة لتقلهم إلى مطار القاهرة الدولى ،
وقد اكتظّت بما حملت من حقائب وسلال ومتاع . وكانت
« زاهية » تصيح بأعلى صوتها ، مقلّدة صفير القطار ، كأنما
تحتج على سجنها فى القفص الجميل !

كان الوالدان يشعران بالقلق المتزايد ، وإن كان « ممدوح »
قد طمأنهما على هدوء المكان وبُعده عن أية إثارة ، ووعدهما
بالبُعد عن كل عمل قد يحمل معه طابع المخاطرة .

ولكن لو كان الوالدان يعلمان ما يخبئه القدر للأربعة

الصغار من مغامرات قلّ أن يجود الزمن بمثلها . لما كانا فكّرا
فى السماح لهم بمغادرة المنزل ! .

كانت الساعة العاشرة والنصف مساء عندما وصلت بهم
السيارة إلى المطار ، وانتقل الجميع إلى الداخل ، حيث وضعت
الحقائب فى سيارة خاصة لتنقلها معهم إلى الطائرة الخاصة
الصغيرة . وكان المطار كخليّة النحل ، يموج بالحركة ، ويهتز
من أزيز الطائرات ، منها طائرة عملاقة من طراز « جامبو » ،
وقد قبعت بجوارها عن قرب طائرتان صغيرتان ذات طراز واحد
وهما يكادان يختفيان فى ظل الطائرة الجبارة !

أعطى العقيد « ممدوح » تعليماته إلى سائق السيارة بأن
يتوجه بالأربعة الصغار إلى الطائرة ، وذلك إلى أن ينهى
إجراءات سفر الطائرة ، وبعض المهام العاجلة الخاصة بعمله ،
وأن ينتظروه حتى يصل إليهم .

وصل السائق بسيارته أمام طائرة من الطائرتين الصغيرتين ،
وكانت مروحتاها تدوران استعداداً للقيام . وصعد الأربعة
السلّم ، تتقدمهم « عالية » ، ويتذيلهم « سمارة » وهو يحتضن
قفصه الثمين ! وكان داخل الطائرة مظلماً ، ولم يكن فى وسع
أحدهم أن يعثر على مفتاح الإضاءة ، فوضعوا حقائبهم وبطاطينهم

في المؤخرة .

أما « زاهية » فأخذت تصيح استنكاراً لوضعها مع العفش .

فأخذ « سمارة » في تهدئتها بإعطائها القليل من بذور عباد الشمس ، فصمتت وهي كارهة !

وكان مما أثار فضولهم ودهشتهم وجود صندوق خشبي كبير يتوسّط فراغ الطائرة . ترى أهو فارغ أم ملآن ؟ ربما كان يخصّ « ممدوح » وسوف يصحبه معه حيث يعمل ! فقال « عامر » : إن هذا الصندوق يسدّ الطريق إلى المقاعد ، فلنذهب الآن إلى المؤخرة . ونفترش الأرض على البطاطين . إلى أن يصل خالنا « ممدوح » لنسأله أن يزيح هذا الصندوق .

وما كادوا يجلسون في المكان الضيّق وهم شبه ملتصقين . حتى أخذت الحوادث تتوالى بسرعة البرق .

فقد سمعوا فجأة صوت أقدام تصعد سلّم الطائرة على عجل . ورجل يدخل فجأة ثم يرتمي على مقعد القيادة . ثم تبعه رجل آخر جلس إلى جواره وهو يلهث ! فتجمّد المغامرون في أماكنهم بدون حراك .. ما هذا الذي يحدث ؟؟ إنهم لا يرون شيئاً في الظلام الدامس !. أيكون أحد الرجلين هو خالهم « ممدوح » ؟ ومن يكون الرجل الآخر .. أهو قائد

الطائرة ؟ ولماذا كل هذه العجلة ؟ ولماذا لم يحدّثهم خالهم ؟

أصابهم الذهول ، وانعقد لسانهم وهم متجمعون في المؤخرة . فقد بدأت الطائرة في التحرك ، وما لبثت أن حلّقت في الهواء بعد قليل ، وكان أزيزها يصمّ آذانهم . كانوا يقبعون صامتين ، يختبئون وراء الصندوق الخشبي الكبير الذي كان يتوسط الطائرة .

همست « عالية » تقول لهم : أليس من العجيب أن خالنا لم يهتم حتى بوجودنا معه في الطائرة ؟ أو يحدثنا ليطمئن علينا !

وما كادت تتم جملتها حتى رأوا شبح أحد الرجلين وهو يقف ، ويدير زراً كهربائياً ليسطع الضوء في كابينة القيادة . على حين ظلّ باقي الطائرة على إظلامه ! فأخذ « عامر » يتطلّع ببصره من وراء الصندوق تجاه الكابينة ، ثم قال بهدوء : كلاهما غريب عنّا !! وخالنا « ممدوح » ليس في الطائرة !!..

فقالت « عالية » وهي بادية الاضطراب : ماذا تعني ؟ أليست هذه طائرتنا ؟

وأخيراً نطق « عارف » وهو واجم ساهم : يا إلهي ! لقد ارتكبنا خطأً فاحشاً .. إنها غلطة لا تغتفر .. لقد التبس الأمر على سائق السيارة وأركبنا في الطائرة الثانية التي تجاور طائرتنا !!..

الوادى الرهيب

التصقت « عالية » بأخيها « عامر » كأنما تحتمى بـه ، وقالت والخوف بادٍ على وجهها الشـاحب : ومـاذا سنصنع الآن إزاء هذا الخطأ ؟!

هــذا صحيح . . مـاذا يمكنهم أن يفعلوه ؟.. لا شىء البتّة ! فليس طبيعيًّا أن يجد المرء نفسه بغتة معلّقاً فى الهواء ، تكتنفه الظلمات ، وفى طائرة أخطأها ، ولا يعرف اتجاهها . وبصحبة مجهولين لم يرهم فى حياته من قبل !

عامر

كان الأربعة لا يرون إلا ظهر الرجلين ، ومؤخرة رأسيهما ، وصورة جانبيّة لوجهيهما عندما يتحدثان . ولكن ما رأوه كان كافياً لأن يشعرهم بالنفور نحوهما !

قال « **عارف** » هامساً : ليس فى مقدورنا أن نفعل شيئاً ! إننا الآن فى ورطة ثقيلة . ولا شك أن الرجلين سوف يجنّ

جنونهما عندما يكتشفان وجودنا ! فأجابته « عالية » : ربما قذفا بنا من الطائرة ! فما العمل وليس لدينا مظلّات النجاة ! !

لم يتمالك الجميع أنفسهم من الضحك . بالرغم مما هم فيه من مأزق لا مخرج لهم منه . فليست هذه أول مرّة – ولن تكون آخرها – يجدون أنفسهم فى مثل هذا الموقف العجيب . كانوا يطمئنون أنفسهم بأنها ما هى إلا مغامرة صغيرة عابرة ، سوف يجتازونها بأمن وسلام ، كسابق عهدهم بالمغامرات ! وكان « عامر » يتدارس الموقف الصعب ، إلى أن قال : نحن الآن نختبئ فى مكان أمين ، اللّهم إلاّ إذا خطر لأحد الرجلين أن يأتى صوبنا . وأملنا الوحيد فى النجاة هو فى أن يصل الرجلان إلى نهاية رحلتهما ، ويغادران الطائرة دون أن يكتشفانا . وعندئذ يمكننا أن نتسلّل من الطائرة ، لنذهب فى طلب النجدة والمساعدة !

كم هو جميل هذا الكلام !.. ولكنه للأسف كلام يسهل قوله . . ويصعب تنفيذه !

قالت « **عالية** » والدموع تكاد تطفر من عينيها : كنت أود أن أمكث مع خالى « ممدوح » . . وأصيد قرشاً من الغردقة !.. إنى أفكّر الآن فيما هو فيه من همّ وغمّ بسببنا ! ترى ماذا يفعل

الآن ؟ فأجابها « عارف » : لا بدّ أنه قلب المطار رأساً على عقب فى البحث عنا ، وأبلغ حرس المطار ، كما أبلغ والدينا باختفائنا المفاجئ ، وهما لن يصدّقا ذلك ، بل سيعتقدان أننا أقدمنا على مغامرة حديثة . . ولن يثقا فينا بعد ذلك .

* * *

كانت الطائرة تخترق أجواز الفضاء فى سكون الليل الدامس . ولم يكن لدى المغامرين أية فكرة عن اتجاه الطائرة . أهى تتّجه شمالاً أم جنوباً ، شرقاً أم غرباً ؟؟... وماذا يهمّ ذلك وهم لا يرون الأرض تحتهم فى الظلام الحالك !

وفجأة تذكّر « عامر » بوصلته ! وبعد أن نظر فيها أخبرهم أنهم يتجهون نحو الجنوب الشرقى ! أما إلى أين فهو فى علم الغيب . . وفى علم الرجلين الغامضين .

وأخيراً رأوا ألاّ فائدة تُرجى من التفكير والقلق والانتظار المملّ ، فقرروا النوم ، وليكن ما يكون . فقد ابتدأت « عالية » فى التثاؤب !

نام الجميع فيما عدا « عامر » الذى ظلّ متيقظاً ، احتياطاً للطوارئ والمفاجآت !! حتى « زاهية » . . فقد وضعت رأسها تحت جناحها ، وراحت فى سبات عميق : إذ ما فائدة اليقظة

وهم سوف يفيقون حتماً عندما تحطّ الطائرة على الأرض !

أخذ « عامر » يعمل فكره فى هدوء ، ولكنه اعتقد أن تفكيره قد شطّ به بعيداً عن حدّ المنطق والمعقول : ألا تكون هناك علاقة بين هذين الرجلين وبين خاله « ممدوح » ؟ . ألم يذكر لهم « ممدوح » أنه سيكون مشغولاً عنهم بعملية سرّية خاصة ؟ ولكن ما علاقة هذين الغريبين بهذه العملية السرّية بالذّات ؟ إنه لا يعتقد أن هناك علاقة ، بل هى الصدفة المحضة التى جمعتهم فى طائرة واحدة مع هذين الرجلين المشبوهين !!.

وبينما هو فى تهيّؤاته وتخيلاته ، إذا به يفيق منها على الطائرة وهى تدور فى حركات بهلوانية ، وبضغط شديد على طبلة أذنيه ، إيذاناً بأن الطائرة فى طريقها لتحطّ على الأرض اليابسة . وكان « عامر » يحدّث نفسه قائلاً : والآن سنعرف أين نحن . . ويجب علينا أن نستعدّ لهروب سريع . عندما تحين الفرصة .

بدأ الفجر يبزغ عندما صدمت عجلات الطائرة الأرض صدمة قوية أيقظتهم فجأة. وأخذ الجميع يتساءلون فيما بينهم : أين نحن الآن يا ترى ؟ وعندما ساد السكون الرهيب جوّ الطائرة بعد أن توقفت محركاتها ، ظهرت علامات السعادة على وجوههم ، برغم شعورهم بالخطر الداهم المحدق بهم . .

لقد وصلوا . . . هذا صحيح . . . ولكن أين ؟ كان الفجر على وشك البزوغ ، دخل ضوؤه الضعيف من نافذة الطائرة .

وقف الرجلان استعداداً لمغادرة الطائرة . وأخذ أحدهما يحدّث الآخر قائلا : كان هبوطك بالطائرة رائعاً يا ريّس « مجاهد » ! فأجابه هذا المدعو الريس « مجاهد » : لقد تعوّدت على القيام والهبوط من هذا المكان يا « معروف » . هلمّ بنا نذهب إلى الكوخ لتحضير طعامنا ، فليس لدينا من الوقت ما نضيّعه !

كانت سعادة الأربعة الصغار غامرة عندما غادر الريّس « مجاهد » و « معروف » الطائرة دون أن يلحظا وجودهم ! ربما أمكنهم الآن الفرار وطلب النجدة ! أو على الأقلّ إرسال كلمة مطمئنة إلى والديهم . . وإلى خالهم « ممدوح » ! . . .

قال « عارف » : لننظر الآن من النافذة لنرى فى أى مطار نحن ! ! .. وربما شاهدنا ميكانيكيًّا أو عاملاً لنسأله أن يوصلنا بأحد المسئولين ! . .

تكالب الأربعة على النوافذ وتتطلعوا منها إلى ما حولهم . ولكن يا لها من صدمة رهيبة أصابتهم مما رأوا ! لم يكن هذا المكان مطاراً ، بل شريطاً ضيّقاً من الأرض ، تنمو فيه بعض

الطائرة فى طريقها لتحط على الأرض اليابسة

الحشائش والنجيل ! كان وادياً ضيّقاً تحوطه التلال العالية ، والجبال الصخريّة الشاهقة من كل مكان !

انزعج « عامر » مما رأى ، وصاح قائلاً : يا إلهى ! أين نحن ؟ ياله من مكان مخيف !.. فطمأنه « سمارة » : هذا وادٍ جميل .. ولكن عيبه أنه مقفر موحش .

فقال « عامر » : إنه كالصحراء التى يدرّبون فيها جنود الصّاعقة ! فسألته « عالية » : ماذا تعنى ؟ فأجابها : لقد أسقطنا القدر هنا .. فعلينا أن نجد ماءنا وطعامنا ومأوانا .. وأن نشقّ طريقنا إلى برّ النجاة !! تماماً كما يفعل جنود الصاعقة !.. فتساءلت « عالية » وهى مذعورة : أتعنى أننا الآن كجنود الصاعقة ؟.. فأجابها : تماماً ! والفرق بيننا وبينهم أننا لسنا مستعدّين لهذه المغامرة !!...

قال « **عارف** » : وكيف لنا أن نعثر هنا على النجدة ؟ وقالت « عالية » وهى حائرة : وماذا سنفعله الآن ؟ هل سنظلّ فى الطائرة ؟

فقال « عامر » فى هدوء : لا أعرف ما تفكّرون فيه !.. ولكنى أنا شخصيًّا لا أميل إلى هذين الرجلين ، ولا إلى الطريقة التى غادرا بها مطار القاهرة . ولا أشعر بالميل إلى هذا الوادى

المهجور !.. فقال له « عارف » : ومع كل هذا يحسن بنا أن نغادر الطائرة لنستكشف ما حولنا ، لعلّنا نصادف بعض الفلاحين .

وأخيراً قال « سمارة » : إنى أعجب لأمر هذين الرجلين ! لا أصدّق أنهما جاءا إلى هذا المكان لغرض شريف ! والآن يجدر بنا أن نخرج حالاً من الطائرة قبل فوات الأوان !.. فأجابته « عالية » : هذا كلام سليم ! يجب الآن أن نعثر على من يساعدنا . ويمكننا أن نبلّغ خالنا « ممدوح » بما حدث عندما نعود إلى القاهرة !

نظروا من النوافذ قبل مغادرة الطائرة . ولكن آثار الرجلين كانت قد اختفت تماماً ، وكأنهما دخان تبخّر فى الهواء ! .

قال « **عامر** » : يجب الإسراع ! ولكن ماذا سنصنع بأمتعتنا ؟ .. وبالببغاء « زاهية » !!..

اقترح « **عارف** » ألا يتركوا فى الطائرة أى أثر ينمّ عن وجودهم ، وإلاّ اكتشف الرجلان أمرهم ! ثم غادروا الطائرة على عجل وهم يحملون أمتعتهم ، وكان « سمارة » يسير فى مؤخرة القافلة الصغيرة وهو يحمل حقيبته وبطانيته فى يد ، و « زاهية » فى قفصها فى اليد الأخرى !

وفجأة صاحت « **عالية** » وهى تشير بأصبعها إلى مكان

بعيد : انظروا .. ! انظروا إلى هذا العمود المرتفع من الدخان !
فقال « عامر » : هذه نار أوقدها الرجلان ليطهيا طعامهما ،
ومن المستحسن أن نتفادى هذا الاتجاه ! ولنأخذ هذا الطريق ..
فنظر إليه « عارف » فى سخرية وهو يقول : أتسمّى هذا
طريقاً !! ..

كان الطابور يسير فى الاتجاه المضاد « لمجاهد » و « معروف »
بمحاذاة بعض الصخور الكبيرة الملساء ، إلى أن وصلوا إلى
جدول أشبه بالقناة الصغيرة ، تجرى فيه المياه الصافية .

فقالت « **عالية** » عند رؤيتها لهذا الجدول : من الغريب
أنى لا أشعر بالجوع ، ولكنى أشعر الآن بالعطش !

تحدث إليهم « عامر » وقال : يجب أن نعثر على مكان
مناسب لنختبئ فيه مع أمتعتنا ، بعيداً عن أعين « مجاهد »
و « معروف » ولكن المشكلة فى أين نذهب ؟.. وهنا اقترح
عليه « سمارة » وهو يشير بعيداً : سنتقدم إلى الأمام فى هذا
الاتجاه . ونتسلق هذا التلّ الذى يشرف على الوادى لنستطلع
منه مكان الطائرة . لأنها لو غادرت الوادى لبقينا فيه إلى
الأبد . وهناك بعض الأشجار يمكننا أن نختبئ فيها .

ارتقوا التلّ حتى وصلوا إلى حيث ترتفع بعض الأشجار

المتناثرة . ولكنهم وجدوا أن الطائرة لا تظهر من هذا الموقع !
ولكن « عامر » تسلق شجرة عالية ضخمة فى خفة القرد .
حتى أمكنه مشاهدة الطائرة وهى تربض فى أسفل الوادى .

وبعد أن هبط من فوق الشجرة . أخبرهم أنه شاهد أيضاً
ما يشبه الكوخ المهدّم فى موقع قريب . ولما وصلوا إليه وجدوه
إسطبلاً مهدّماً خاوياً مهجوراً ! ففرحوا لهذا الكشف ، وقال
عارف إنه يمكنهم أن يضعوا حاجاتهم فى هذا المكان ، فهو على
الأقلّ يحمل سقفاً سوف يحميهم من البرد والريح والحرّ .

وقالت « **عالية** » : إن المكان قذر ورائحته لا تطاق ،
ولكن يمكننا أن ننظّفه ، وأن نبسط الكليم لننام عليه . فألقوا
بحقائبهم فى ركن من الأركان ، وبجانبها وضعوا « زاهية »
فى قفصها . وما كادوا يفعلون ذلك حتى صدر عنها صوت عالٍ
وهى تردّد : « زاهية » مسكينة ! « زاهية » مسكينة !.. علامة
على استنكارها واحتجـاجها .

فقال « **عامر** » وهو يضحك : هل تظنّون من الصواب
أن نخرج « زاهية » من سجنها ؟ فأجابه « سمارة » وهو ينظر إلى
« زاهية » نظرة عتاب : نعم ، ستظل على كتفى ساكنة هادئة .

وبعد سكون قصير قال « **عارف** » وكان يجلس على

حقيبته : والآن .. ما هى خططنا ؟ هل سنكتشف المنطقة فى طلب النجدة ، أم سنراقب الرجلين لنعرف ما الذى أتى بهما هنا ، أم سنمكث هنا ونختبئ لا نفعل شيئاً !!..

فأجابه « **عامر** » : أعتقد أنه من الأفضل اكتشاف المنطقة الآن ، ربما وجدنا من ينقذنا من ورطتنا ! فلا بدّ لنا من الرجوع فوراً إلى منزلنا ، وبأسرع ما يمكن ! وقالت « عالية » : إن هذا الوادى جميل ، ولكنه غامض جداً ، فلا حسَّ فيه لمخلوق ! وقال « سمارة » : نحن لم نر إلاّ جزءاً بسيطاً من الوادى .. ولكن من يعلم ربما كانت هناك قرية وراء هذا التلّ !.. أليست هذه الجبال ضخمة رائعة ! فقال « عامر » : نعم . فهى تحيط بالوادى كالحلقة ، ولكن أين المخرج ؟ إننا تعلّمنا أن سلاسل الجبال بها ممرّات تقود إلى السهول والأودية ! إن الغموض يكتنف هذا الوادى ، وإنى لعلى يقين من أننا على أبواب مغامرة رهيبة !!..

فقاطعه « **عارف** » : إنك تهذى ! إننا سوف نجد مزرعة قريبة .. وسنعثر على النجدة .. وسنجد طريقاً .. وسنذهب إلى أقرب مدينة بالسيارة .. ومن هناك إلى المطار . وأراهنك على أننا سنكون بمنزلنا غداً !!..

فأجابه « **عامر** » : أراهنك على أن شيئاً من هذا لن يحدث !!..

ظهر الاضطراب والخوف على وجه « عالية » عند سماعها قول « عامر » فهى تعرف أخيها حقّ المعرفة ، فهو إن قال شيئاً عناه ، وليس من عادته أن يهذى كما اتهمه « عارف » ! وقالت « عالية » : ولكن ماذا عن طعامنا ؟ فلم يتبقّ منه إلاّ القليل مما حملناه معنا . سوف نموت جوعاً فليس فى هذا المكان ما نأكله !!..

هذا موضوع لم يفكّر فيه أحد .. فالمغامرة شيء .. أما المغامرة مع الموت جوعاً فهى شيء آخر !!..

* * *

خرج الأربعة من مكمنهم ، وأخذوا يتطلعون إلى الجبال الصخرية العالية ، وهى تطبق على الوادى لتجعل منه سجناً كبيراً . إن أحداً منهم لم ير مثل هذه الجبال من قبل !. أما « عامر » فكان فى وادٍ آخر ! لقد رجعت به الذاكرة إلى ما ذكره خاله « ممدوح » عن سلسلة الجبال الصخرية الوحيدة فى القطر المصرى ، والتى تحفّ الصحراء الشرقية وتطلّ على خليج السويس والبحر الأحمر ، وتمتدّ موازية الساحل حتى تخترق

الحبشة !... وعن الأمطار والسيول التى تنحدر على قممها وسفوحها ، تنحت فيها الكهوف والممرات على مرّ الملايين من السنين ، وتجرف معها الصخور الملساء تسدّ الممرّات الجبلية والطرقات !!..

ألم ينظر فى بوصلته وهو فى الطائرة فوجد أنهم يتجهون جنوب شرق ؟ وهذا يعنى أنهم اتجهوا من مطار القاهرة ناحية البحر الأحمر !!!...

أيكونون الآن فى مكان ما وسط هذه السلسلة من الجبال ؟ ولكن أين ؟ وما هى أقرب مدينة ساحلية إليهم ؟ أهى رأس غارب ، أم الزعفرانة ، أم الغردقة .

كل هذا جائز ! ولكن لم لا يكونون فى الحبشة ! هذا جائز أيضاً ! أمّا ما يعرفه عن يقين فهو أنهم الآن فى منطقة جرداء ، جبلية ، قفرة ، موحشة ، منعزلة عن العمران . وكأنها خلقت فى عالم آخر ، تعــوى فيها الرياح ، وتغرقها السيول الجارفة والأمطار فى مثل هذا الوقت من كل عام ! هكذا ذكر خاله .

ذكر لهم «عامر» ما يدور بخلده من احتمالات ، لكى يطمئنهم على حالهم ، وإن كان لا مجال للاطمئنان فى مثل هذا المكان ! وكان غرضه من ذلك أن يشعرهم بأنهم فى أرض

مصرية ، الأمر الذى سوف يدخل الطمأنينة على نفوسهم .

ثم قال : ولكن ما يدهشنى حقّاً هو لماذا يأتى هذان الرجلان إلى مثل هذا المكان ؟ وكما ترون لا يوجد هنا أى عنصر من مقوّمات الحياة ! . وزاد «عارف» على ذلك بقوله : ومع ذلك فهما يعلمان بوجود هذا الممرّ الضيق المُستوى ! تعوّدا الهبوط عليه بطائرتهما فى يسر وسهولة !

وبينما هم كذلك يتبادلون الرأى فى إيجاد مخرج لهم من هذه الأزمة المستعصية ، إذا «بعامر» يلمح سحلية صغيرة ، ذات ألوان برّاقة جميلة ، تقف بالقرب من قدمه . فأخذ يتفحّصها بتأمل وإعجاب ، فهى من النوع النادر ، وهو يعلم ذلك جيداً . فنسى «عامر» ما هم فيه من مأزق ، ومدّ يده بسرعة خاطفة وقبض على السحلية من عنقها . فهو يعلم أنه لو قبض عليها من ذيلها لتركته ينفصل فى يده ولاذت بالفرار ! كما هى عادة السحالى ! فطلب من «عالية» أن تناوله قليلاً من فتات البسكويت ، وأخذ يطعمها بيده ، والسحلية تلتهم الفتات بنهم وشراهة ! ثم أطلق سراحها بعد أن شبعت ، ولكنها ظلّت تلازم مكانها بجوار قدميه ترفض الرحيل ، وهى تنظر إليه بعينيها المستديرتين . وكان كلّما تنقّل من مكان إلى مكان ،

تبعته كظلّه ، وكأنها تطمع فى المزيد من البسكويت !

أخذت « عالية » تبتعد عن السحلية ما أمكن ، ثم قالت « لعامر » : أكانت تنقصنا هذه السحلية فى ورطتنا هذه !
فأجابها : إنها سحلية من نوع نادر ، وأنا سعيد برؤيتها !..

* * *

اتفقوا على استكشاف المنطقة ، على أن يجعلوا من الإسطبل محلاً لإقامتهم ، وطالما أن البوصلة مع « عامر » فلا خوف عليهم من التيه والضياع !

كانت الشمس تسطع على قمم الجبال وهى تغمر الوادى ، عندما لمحوا عمود الدخان المعهود يتصاعد فى الهواء . فقال لهم « عامر » مشيراً إليه : نحن هنا أحرار فيما نفعل ، إلاّ أن نذهب فى هذا الاتجاه ! هلّم بنا نسير فى هذا الدرب ، لعله يقودنا إلى العمران !!.. وسوف نترك أمتعتنا هنا فهى فى أمان .

قالت « عالية » وقد تذكّرت ما شاهدته فى أحد أفلام الهنود الحمر : وسوف نحفر علامات على جذوع الأشجار والصخور ، حتى نؤمن طريق عودتنا إلى مركز القيادة !

كانوا يتسلّقون الجبل فى خفة ورشاقة ، إلى أن وصلوا إلى مكان يكشف الوادى . وكانت الطائرة تبدو منه واضحة وهى

تبرق تحت أشعة الشمس ، كأنها قطعة من الفضة . فصوب « عامر » منظاره نحو الطائرة وقال لهم : انبطحوا أرضاً ، فإنى أرى أحد الرجلين يتجه صوب الطائرة . فانبطح الجميع أرضاً ، وتابع « عامر » حديثه : إنه الرئيس « مجاهد » يدخل الطائرة الآن . . هل سيطير تاركاً « معروف » وراءه ؟.. لا .. إنه يغادر الطائرة الآن . . إنه يحمل شيئاً بين يديه لا أتبيّنه . . هو يتجه الآن صوب عمود الدخان . . لقد اختفى الآن وراء الأشجار .

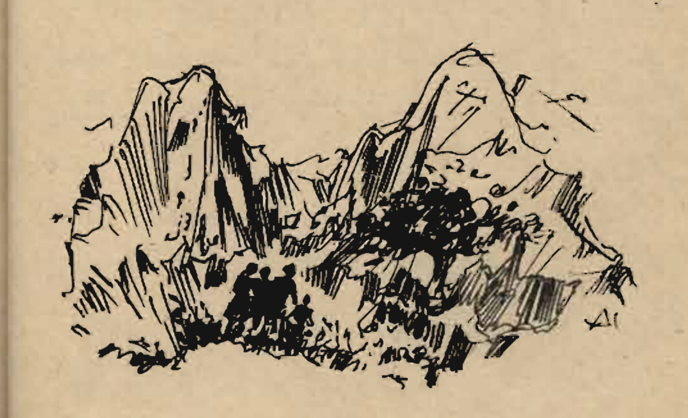
تابع الأربعة سيرهم باحتراس وهم يحاولون التستّر وراء الأشجار والصخور ، إذ طالما أنهم يكشفون الوادى من مكانهم ، فيحتمل كذلك أن يكشفهم « مجاهد » و « معروف » .

كان الأمل يراودهم فى العثور على أثر يدلّهم إلى طريق النجاة . ولكن هذا الأمل خبا ، فلا أثر هناك سوى الصخور وبعض الأعشاب والأشجار ! إلى أن قطع عليهم حبل السكوت صوت « سمارة » وهو يقول : أعتقد أنه لا يوجد مخلوق حى فى هذه المنطقة ، غيرنا والرجلين الغريبين ! فإنى لا أرى أثراً لدخان ، أو لحيوان ، أو حتى لكلب أليف !

جلس الأربعة فى ظل شجرة يحتمون بها من أشعة الشمس ، بعد أن اشتكت « عالية » من أنها تشعر بالجوع

وأخذوا يلتهمون ما تبقّ لهم من طعام ، ويفرغون آخر قطرة ماء بقيت لهم في « الترموس » . وكانت « زاهية » ، التي ظلّت طوال الوقت لا تفارق كتف « سمارة » ، تنتقي الزبيب بمنقارها من قطعة « الكيك » التي يأكلها !

وبينما هم كذلك إذا « بعالية » ، وكانت تجاور « عامر » ، تقف فجأة وهي تبتعد عنه . فقد لمحت السحلية وهي تقبل بجرأة نحو « عامر » ، وتنظر إليه بعينيها المستديرتين ، وكأنها تسأله شيئاً ! لم تحاول الهرب وهو يلتقطها بين يديه ، ليطعمها بوجبتها الشهيّة المفضّلة .. فتات البسكويت .. لقد تبعته طول الطريق !



البحث عن الطعام



عالية

كانت « عالية » تستند بظهرها إلى الشجرة ، وهي تستريح من عناء السير الطويل . وكان الهدوء المخيف يسود أرجاء المكان .

تنبهت « عالية » فجأة ، وكأنها تستمع إلى صوت يأتي من الفضاء ، وقالت : ألا تسمعون شيئاً ؟ فأجابها « عارف » وهو يضحك : لا .. لأن آذاننا ليست كآذانك ! وماذا هنا حتى نسمعه !.. فقالت : إني أسمع صوت خرير المياه ! فأرهف الجميع السمع ، إلى أن قال « سمارة » : إني أسمع صوت المياه هذا صحيح ، ولكنه ليس صوت جدول أو غدير ! إنه أشدّ من ذلك ! هيّا بنا لعلّنا نكتشف عنه . ثم ساروا في اتجاه الصوت الغريب ، إلى أن وصلوا إلى مرتفع صخري يصعب تسلّقه . ولكن الصوت العجيب أصبح الآن

واضحاً ، مما دفع فيهم الحماس لارتقائه . وقال « عامر » :
أعتقد أننا إذا التففنا حول هذه الصخرة العالية ، سنرى مصدر
هذا الصوت الذى يصمّ هديره الآذان !

وصلوا إلى المكان المنشود .. حيث وقفوا مشدوهين مما
شاهدوه ! إنهم لم يروا له مثيلاً فى حياتهم من قبل .. إلاّ فى
الصور ، وفى الأفلام السينمائية ! لقد كان شلاّلاً .. صحيح
هو ليس كشلاّلات « نياجارا » فى أمريكا ، ولكنه شلاّل صغير
متواضع .. تتدفّق مياهه فى قوة من أعلى الصخور ، حتى
تستقرّ فى بؤرة عميقة مملوءة بالصخور الملساء المصقولة بفعل
الميـاه ..

وكم كانت سعادة « عالية » بالغة ، وهى تخرج لسانها
لتلعق به رذاذ المياه الصافية النقية الباردة وهى تغمر وجهها .
لقد كانت تكفيها قطرة واحدة منها لتروى ظمأها . وأخذت
تصيح بأعلى صوتها وهى تقول : إننى أشرب الرذاذ !! كم هو
منعش لذيذ !

أما « زاهية » فقد طارت فجأة ، وأخذت تحوم حول
المياه المتدفقة ، وهى تتلقّى رذاذها ، ثم تعود لتحطّ على كتف
« سمارة » وتنفض ريشها الأخضر الزاهى لتغرق بالرذاذ وجهه

الأسمر !

* * *

كان طريقهم فى الرجوع واضحاً سالكاً ، وهم يقتفون
أثر العلامات التى تركوها على الأشجار والصخور . وما إن
وصلوا إلى الإسطبل ، حتى ضحكت « عالية » وقالت : كم هو
جميل أن يعود الإنسان إلى بيته !

دخلوا الإسطبل فوجدوا أمتعتهم فى وضعها الأول كما
كانت ، دلالة على أن مخبأهم لم يكتشف بعد ! .

قالت « عالية » ، وكانت تشرف على تدبير شئون الطعام .
إن ما بقى لهم من زاد لا يعدو بقايا وفتات لا تكفيهم هذا المساء
أما العطش فلا خوف عليهم منه ، فالجدول الصغير يجاورهم .
ينهلون منه كفايتهم . فاقترح « عامر » أن يهبط إلى الوادى
وحيداً ، ليستطلع ماذا يفعله الرجلان . فوافقوه على رأيه .
وأضافت « عالية » . تقول : وإذا سنحت لك الفرصة يمكنك
أن تبحث فى الطائرة عن بعض الطعام ، لربما وجدت منه
شيئاً ! . وكانت « عالية » تودّ أن تصاحب أخيها فى مهمته
الخطرة ، ولكنها كانت على يقين من أنه سيرفض تعريضها
للخطر .

أسرع « عامر » فى الرحيل ، فقد كانت الشمس على وشك المغيب ، واقترب حلول الظلام .

رفضت « عالية » المبيت داخل الإسطبل ، بحجة أن رائحته لا تطاق ! فابتدأ « عارف » و « سمارة » فى تجهيز مكان للمبيت خارجه . فاختارا مكاناً مناسباً تحت شجرة وارفة ، تنبت تحتها بعد الأعشاب والحشائش ، وبسطوا عليه الكليم ، وأخرجوا البطاطين . أما الحقائب فكانت ستستعمل كوسادات !

ولما حلّ الظلام ، ابتدأت « عالية » فى القلق على « عامر » . لقد تأخّر فماذا حدث له يا ترى ؟ وكانت تروح وتجىء وهى حائرة قلقة ، تنظر فى الطريق المؤدى إلى الطائرة ، وفجأة رأت شبحه مقبلاً وهو يسرع فى خطاه . فنادت على « عارف » و « سمارة » ، حيث استقبله الثلاثة بما يليق به من حفاوة وترحاب ! وحتى « زاهية » كانت تصيح وتغنّى ، و « سمارة » يحاول إخراسها ، لئلا يصل صوتها وصفيرها مع الريح إلى أسفل الوادى ! وقالت « عالية » : ابتدأنا نقلق عليك ، هل شاهدت « مجاهد » و « معروف » ؟ وماذا كانا يفعلان ؟

فنظر « عامر » إلى مكان المبيت وهو يتفحّصه وقال : يا لها من غرفة نوم وثيرة ومريحة !.. فكرّرت « عالية » سؤالها بإلحاح :

هل شاهدتهما يا « عامر » ؟ وماذا حدث ؟ وهل عثرت على طعام فى الطائرة ؟..

فأجابها « عامر » : لم أفعل الكثير . . فلم أجرؤ على التقدم إلى الطائرة لأنها تقف فى الخلاء ، وربما لمحنى « مجاهد » أو « معروف » وأنا فى طريقى إليها . ففكّرت فى استطلاع مخبأهما أولا ، فاتجهت إليهما ، يقودنى عمود الدخان ، وأنا أحتمى بالصخور والأشجار . . فقاطعه « عارف » فى لهفة : وهل رأيتهما ؟.. فاستمر « عامر » فى روايته : سمعت صوتهما أولاً . . وكانا يتحدثان بصوت عالٍ فى حرّية . فتسلقت شجرة ورأيتهما عن بعد وهما يفترشان الأرض أمام النار ! وكانا يتناقشان ويتدارسان ، والرئيس « مجاهد » يمسك فى يده بورقة . . ولما صوّبت منظارى إليها اتضح أنها أشبه بالخريطة !!.

وهنا قاطعه « عارف » لثانى مرة وهو يبدى الدهشة : خريطة ! وما فائدة الخريطة ! إنهما يعرفان هذه البقعة عن ظهر قلب . . وإلاّ لما تمكنّا من الهبوط فيها بطائرتهما ! فأجابه « عامر » : لا بدّ أن هناك سبباً وجيهاً أتى بهما هنا ! أمّا ما هو هذا السبب فهو فى علم الغيب ! لا بدّ أنهما يبحثان عن شىء .. أو عن شخص . . والخريطة تدلهما على ذلك ! فقد سمعت



وكانا يفترشان الأرض أمام النار يتناقشان ويتدارسان ، والريس « مجاهد » يمسك فى يده بورقة . . .

مجاهداً وهو يقول مشيراً بأصبعه إلى هذه الورقة : هذا الطريق بالذات . . . ومن هناك إلى هنا . وكان يبدو عليهما أنهما يخطّطان لبعثة استكشافية !. فقالت « عالية » بحماس شديد : يمكننا أن نقتفى أثرهما .. ونكشف عن سرّهما !..

أخذ « عامر » يفكّر فيما قالته « عالية » ، ولكن رجاحة عقله ، وبعد نظره ، وحسن تقديره للأمور ، جعلته يرفض اقتراحها ، وقال : لا داعى لتسلّق هذه الجبال وراءهما ، وهى مغامرة لا طائل تحتها . . والأفضل أن ندعهما يبدآن رحلتهما ، على حين نذهب نحن إلى الكوخ ، وإلى الطائرة أيضاً ، فقد نعثر هناك على ما يدلّنا على شخصيتيهما ، وعمّا يبحثان عنه !!.

فقالت « عالية » وهى تتثاءب : حسناً . . هذا هو عين العقل . . فلنفعل ذلك صباحاً . . أما الآن فقد حان وقت النوم .

نام الأربعة فى معسكرهم البدائى ، وهم يحلمون بما سوف يأتى به الغد من مغامرة . . قد تهون بجانبها ما خاضوه فى الماضى من مغامرات !

* * *

استغرق الجميع فى نوم عميق ما عدا « عامر » . . فقد ظلّ يعدّ النجوم . . ويستمع إلى نعيق البوم !

وكان يفكّر فى مخرج للمأزق الذى أوقعهم القدر فيه . . ولكنه لم يتوصل إلى حلّ معقول ! فلم يكن من السهل التخلصّ من مثل هذا المأزق الخطير الرهيب !

أخذت « زاهية » تقلّد البومة بصوت مرتفع . . مالها هى ومال المآزق ! ولكن « عامر » نهرها وأخرسها لئلا توقظ النيام . فسكتت على مضض . . ودسّت رأسها تحت جناحها واستغرقت فى النوم . . لا لأنها فى حاجة إلى النوم . . بل لأنها كانت تقلّد النائمين فقط !

* * *

استيقظ الجميع وأخذوا يتشاورون فى مشكلة الإفطار ! فقد نفد الطعام منهم . ولكن « سمارة » ، وكان بعيد النظر ، حلّ لهم هذا الإشكال ! فقد احتجز من نصيبه قالبا من الشيكولاتة لمثل هذا الظرف الطارئ . . اقتسموه فيما بينهم بالعدل والقسطاس . أما ببغاؤه اللطيفة فكان لا خوف عليها من الجوع . . . فقد كان فى حوزته من البذور ، ما يكفيها لشهور . .

وعندما كانوا يتداولون فيما يجب عمله للحصول على الطعام . إذا بهم يستمعون إلى صوت الرجلين وهما يقتربان . وكانت

الريح تحمل لهم صدى صوتهما الأجشّ . فبادروا بإزالة المعسكر فى سرعة خارقة ، وتولّى كل منهم حمل أمتعته إلى الإسطبل . كما حمل « سمارة » ببغاءه ، وأشار لها حاثًّا لها على الصمت ، وبألاّ تفتح منقارها ، لئلا تفضح مكانهم بصراخها ثم اختبئوا وهم ينظرون إلى الخارج من خلال شقّ فى الجدار .

وصل الرجلان . . ونظر « مجاهد » إلى حيث كانوا ينصبون معسكر النوم ، وقال « لمعروف » فى دهشة : هنا شىء غريب جداًّ ، فالحشائش تميل وتلتصق بالأرض فى هذه البقعة بالذات ! من صنع هذا ؟.. فقال « معروف » : ربما كانت آثار حيوان ؟ فأجابه « مجاهد » : حتى لو كان هذا الحيوان فيلاً لما ترك مثل هذا الأثر الضخم ! ولكننا مضطرون لترك هذا المكان فوراً ونتحرى هذا الأمر عند عودتنا . . فليس لدينا الآن وقت نضيّعه !

وبعد انتظار طويل تأكد الأربعة من رحيل « مجاهد » و « معروف » فتنفّسوا الصّعداء وغادروا مخبأهم إلى الخارج . ثم تسلّق « عامر » الشجرة الضخمة العالية ، وأخذ يتطلّع بمنظاره فى الاتجاه الذى سلكاه . وكان « عامر » يتفحصهما من فوق الشجرة وهو يقول : أراهما الآن بعيداً يقفان فى مكان

مكشوف .. إنهما يدرسان خريطة فى يدهما ويتجادلان .. يبدو عليهما أنهما ليسا متأكدين من وجهتهما .. هاهما الآن يستأنفان السير !.. إنهما يدوران حول صخرة سوداء كبيرة .. الآن فقط فقدت أثرهما تماماً ! لقد اختفيا !!.

نزل « عامر » من فوق الشجرة برشاقة الغزال ، وقال لهم : والآن هلّم بنا لنلقى نظرة خاطفة على الطائرة .. وانتهز هذه الفرصة فغيابهما سيطول !

هبطوا إلى الوادى فى سرعة البرق ، حيث وجدوا الطائرة تقبــع فى مكانها على الممرّ الضيق الصخرى القصـــير . دخلوها ولكنهم فوجئوا باختفاء الصندوق الخشبى الكبير الذى كان يسدّ بطن الطائرة . فتعجّبوا لاختفائه ، ولكنهم أدركوا أن الصندوق كان فارغاً ، وإلاّ لما تمكّن « مجاهد » و « معروف » من حمله وحدهما ! فبحثوا فى أرجاء الطائرة عبثاً عن طعام . فقالت « عالية » باضطراب ظاهر : والآن ما العمل ؟ هل سنموت جوعاً ! ولكن « عامر » طمأنها قائلاً : ما زال الكوخ أمامنا .. فقد شاهدتهما بجواره أمس يطهيان طعاماً .

توجّهوا إلى حيث رآهما « عامر » بجوار النار ، وكانت آثارها ما زالت باقية ! والكوخ مقام بجانبها على مسافة قصيرة . وكان

الكوخ مبنياً بالحجارة ، ويحتوى على حجرة واحدة . ولا بدّ أنه كان خرباً ، إذ ما زالت تظهر فيه آثار ترميم حديث ، وله باب خشبى متين ، ونافذة زجاجية واحدة ، مرتفعة صغيرة ضيّقة مستديرة ، لا تتّسع لمرور إنسان .. فنظر « عارف » إلى الباب وقال : لا بدّ أن يكون مقفلاً .. وأنهما أخذا مفتاحه معهما . ولكن ما يدهشنى هو ممّن يخافا ، ولا مخلوق معهما فى هذا الوادى المهجور ! أتظنون أنهما يعلمان بوجودنا ؟ وعلى كل حال ما دمنا هنا فلنلق نظرة إلى الداخل من خلال هذه الطاقة الزجاجية . فحمله « عامر » على كتفيه حتى وصل إلى مستوى الكوّة ، ولكن الظلام كان يشيع فى أركان الحجرة ، إذ كانت الطاقة الضيّقة هى مصدر الضوء الوحيد ، فلم ير شيئاً فى بادئ الأمر . ولكنه بعد أن تعوّد على الظلام قال : إنى أرى مرتبتين ، وكلباً ، ومائدة صغيرة وبعض الكراسى ، وموقد .

ولكنه ما لبث أن فغر فاه من الدهشة وصاح : ... انظروا إلى هذا ! يا للمفاجأة !.. فنطق الجميع بصوت واحد : ماذا ! ماذا ترى ! فقال « عارف » وقد افترّ ثغره عن ابتسامة عريضة : إنى أرى حلماً .. أرى أكواماً من الطعام والمعلبات

المكدّسة على الأرفف . . يا له من منظر خلاّب ، يسيل له اللّعاب !. قال هذا وقفز من على كتفى « عامر » وهو يصيح : إنه مجمّع استهلاكى . . ولكنه للأسف مغلق . آه لو لم يأخذا مفتاحه معهما . . لكانت « عالية » تهيئ لنا الآن وليمة فاخرة !

ولكن كانت الكوّة الزجاجية ، وإن كان يسهل كسرها ، لا تتّسع حتى لمرور « عالية » بقدّها الدقيق النحيف . فاقترح « سمارة » فى ثورة من الحماسة أن يحطّموا الباب ، ولكن كان هذا مستحيلاً . إذ كان هذا الفعل سينمّ عن وجودهم . ولكنه من حنقه وغيظه ركل الباب ركلة شديدة بقدمه ، وكأنه يعاقب الباب الذى يقف أمامهم عقبة فى سبيل الحصول على الطعام الشهىّ . . فانفتح الباب ، لأنه لم يكن مغلقاً بالمفتاح . وسط دهشة الجميع وفرحهم وتهليلهم .

وهنا صاحت فيهم « عالية » ، وهى تشير بيدها إلى الداخل : والآن هيّا بنا إلى الوليمة اللذيذة !



كانت الأرفف المحمّلة بالطعام والمعلّبات والفواكه ، تبدو وكأنها تتراقص أمام أعينهم . فهجموا عليها وهم غير مصدّقين ، ليتأكدوا أنهم فى يقظة وليسوا فى حلم جميل. ولكن « عامر » صدّهم عنها قائلاً : مهلاً ! مهلاً ! سنأخذ حاجتنا من الصفوف الخلفية ونترك الأمامية للتمويه ، حتى لا يظهر أن أحداً قد سطا على المخزن . فقال « سمارة » : سنحصل على ما فيه كفايتنا ، ويجب الآن أن نواجه الحقيقة . . وهى أننا سوف نبقى هنا لفترة غير معروفة . . وأننا قد قُطعنا عن العالم ، وقد لا تصلنا النجدة — إذا وصلت — إلاّ بعد زمن طويل !

إنهم كانوا يدركون هذه الحقيقة فى قرارة نفوسهم ، إلاّ أن إعلانها كان سبباً فى اضطرابهم . وكان أكثرهم اضطراباً هى

« عالية » ، التى قالت بصوت لا يكاد يسمع : أنت على حق يا « سمارة » . يجب أن نأخذ معنا أكثر ما يمكن أخذه ، وأن نحمله إلى مخبأ أمين .

وجدوا عدداً كبيراً من الزكائب الفارغة المهملة فى أحد الأركان . فملئوا منها « زكيبتين » بما لذ وطاب من علب البسكويت والشيكولاتة واللبن والسردين واللحوم والمخضروات والفواكه ، وخاصة الأناناس الذى كانت تحبه « عالية » و « زاهية » ! ثم غادروا الكوخ على عجل بعد أن أحكموا إغلاقه ، وبعد أن بحثوا عن أوراق أو مستندات قد تفيدهم فى الكشف عن هويّة الرجلين ، أو عن مهمتهم ، ولكن بدون جدوى ! وكان « عامر » و « عالية » يحملان « زكيبة » فيما بينهما ، وهما يكادان ينوءان تحت حملها ، و « عارف » و « سمارة » الزكيبة الأخرى .

ولكن أين الصندوق الخشبى الكبير ، إنه ليس فى الكوخ ! قال « عامر » إنه يعجب لاختفائه ، وإنه يحسن بهم أن يبحثوا عنه ، فلا بد أن يكون فى مكان قريب . فوجدوه بعد بحث مضنٍ وسط خمسة صناديق كبيرة مماثلة ، وسط الحشائش العالية وهى مغطاة بغطاء كبير من المشمّع !

فصاح « عامر » : عجيب ! الصناديق كلّها فارغة ! من ذا الذى يأتى بصناديق فارغة إلى مثل هذا الوادى المهجور ! ؟ إلاّ إذا كان مجنوناً ! فقالت « عالية » وهى ترتعد : أتظن يا « عامر » أنهم مجانين ! .. وماذا سنفعل إذا كانوا حقًّا مجانين !

فأجابها « عارف » وهو يضحك : نبتعد عن طريقهم !

وما كادوا يصلون إلى الإسطبل بكنزهم الثمين ، حتى تسلّق « عامر » الشجرة — التى أطلقوا عليها « نقطة المراقبة » — ومسح الوادى بمنظاره ، فلم يجد أثراً للرجلين ! وكانوا يشعرون بالجوع والتعب ، ففتحوا من العلب ما اشتهته نفوسهم ، وكانت وليمة أنستهم ما هم فيه من همّ وتعب وجوع ! .. أما « زاهية » فقد اقتصرت وليمتها على الأناناس ، وهو طعامها المفضل ! وبعد أن انفضّت الوليمة ، قالت « عالية » : وماذا سنصنع بالعلب الفارغة ؟ وأين سنخفيها ؟ فنظر « سمارة » بعيداً وقال : إنى أرى هناك جحراً ، أغلب الظن أنه جحر أرانب ، سنلقى فيه بالفوارغ . ولكن الأهم من ذلك أين سنخفى متاعنا ؟ إذ لا بدّ أنّ الرجلين سيعاودان البحث عنّا غداً . . بعد أن تركنا آثارنا على الحشائش ! فصاح عليه « عامر » وكان لا يزال يرابط فى نقطة المراقبة : هنا ! فوق الشجرة !

ولما وافقوه على فكرته الصائبة على الفور ، فكّ الحبل الذى يلتفّ حول وسطه ، وأسقطه لهم . فأخذوا يحزمون به الحقائب واحدة وراء الأخرى ، وهو يرفعها إلى أعلى ، حيث يخفيها وسط الفروع ! واحتفظوا فقط بما يلزمهم للمبيت . أما كنز الطعام الثمين فأخفوه وسط مكان تنمو فيه الأعشاب الطويلة ، والشجيرات الكثيفة .

أما عن أنفسهم فليس أسهل عليهم من تسلّق الشجرة عند الضرورة ، والاحتماء بأوراقها وفروعها ! وبذلك اطمأنت قلوبهم ، فلا أثر يظهر الآن لأمتعة أو طعام أو إنسان ! وليبحث الرجلان عنهما كيفما شاءا !

وما إن أصبح عليهم الصباح ، حتى أخذوا يفكّرون جدّيًّا فى تغيير مكان إقامتهم . ولكن أين ؟ وهنا طرأت على رأس « عالية » فكرة نيّرة ، فقالت فجأة : الشلاّل !.. بجوار الشلال !.. فالمكان جميل .. والماء موجود .. وربما اكتشفنا هناك مخبأً خفيًّا ! فقرّروا أن يتركوا وراءهم الحقائب على الشجرة كما هى ، فهى ثقيلة ولا داعى لحملها فى المشوار الشاق الطويل ، والاقتصار على ما خفّ حمله من ضروريات ، وبعض الطعام ، على أن يرجع أحدهم لإحضار ما يحتاجونه

من طعام كلّما دعت إليه الحاجة !

وما كاد يلوح ضوء الفجر ، حتى أيقظهم « عامر » وبدءوا فى تناول الإفطار الذى جهزته لهم « عالية » . وما كادوا ينتهون منه ، وإلقاء مخلّفاته فى جحر الأرانب ، حتى لمحوا عمود الدخان المعهود يتصاعد فى الهواء . فأخبرهم « عامر » أنه لا بدّ لهم من الإسراع فى الرحيل قبل وصول « مجاهد » و « معروف » . فحملوا معهم متاعهم الضرورى ، وكان أثقله وأثمنه زكيبة الطعام .. و « زاهية » وهى تربض فوق كتف « سمارة » ، تتركه أحياناً لتطير ، ثم تعود لتحطّ على كتفه ، كأنما تستكشف لهم الطريق . وبدءوا مسيرتهم فى طريقهم إلى الشلاّل ، مستعينين بما سبق لهم أن تركوه من علامات وإشارات حفروها على الصخور والأشجار . إلى أن وصلوا إلى مكان أتاهم فيه صوت هدير المياه ، فأطرقت « عالية » السمع بأذنها المرهفة ، وقالت : ياله من صوت عذب جميل .. والآن سأشرب الرّذاذ بعد قليل !

وصلوا إلى المكان وكانت مياه الشلال الصغير تتدفّق وهى تنثر رذاذها على وجوههم ، و « عالية » تلعق قطرات الماء فى شغف ونهم ! جالت نظراتهم هنا وهناك باحثة عن مخبأ أمين .

ولكن لم يكن هناك ما يوحى بوجود مثل هذا المكان . فقال لهم « عامر » : استريحوا هنا قليلاً ، وسأبحث أنا عن مكان يخفينا عن عيون « مجاهد » و « معروف » .

كان المكان محاطاً بالصخور العالية اللامعة الملساء ، تصقلها مياه السيول المتدفقة ، التى تتجمّع فوق القمم لتجد طريقها إلى أسفل الوادى ، وهى تمرّ فى تدفّقها وسريانها بين الصخور ، تنحت فيها الغيران والكهوف . وكان « عامر » يتجوّل فى المكان وهو مأخوذ بجماله ، إلى أن عثر على شجرة ضخمة ، تنسدل فروعها وأوراقها كالشعر المسترسل الهفهاف ، حتى تصل إلى الأرض ، كشجرة الصفصاف . وكانت الشجرة تحجب وراءها حائطاً صخريًّا عالياً . فأخذ « عامر » يزيل الأوراق بيديه من أمامه ويفرقها ، حتى يكشف ما وراءها . وإذا به يقف فجأة أمام فتحة فى الحائط الصخرى ، ارتفاعها يبلغ ارتفاع قامته ! ولما أطلّ برأسه إلى الداخل وجد ما يشبه الكهف الصغير ، أرضه مغطاة بالطحالب الخضراء السندسيّة الناعمة ، والتى تنبت من أثر رطوبة الشلاّل ! فأخذ يصيح عليهم ، وهم يتطلّعون فى كل مكان فلا يرونه ! فقد كانت شعور الشجرة الجميلة الباسقة تحجبه عن أنظارهم ، إلى أن

أزاح الفروع بيديه ، وهلّ عليهم بوجهه ، ونادى عليهم .

عدَوْا نحوه ، وأطلّوا برءوسهم داخل الفتحة الواسعة ، فهتفت « عالية » وهى تتعجّب : ياله من منزل رائع بعيد عن الأنظار ! ويالها من ستارة خضراء جميلة ! نرخيها عند الضرورة لتحجبنا عن عيون الدخلاء ، ونفتحها لنستنشق الهواء !

وقال « عامر » : والآن فلنحضر منقولاتنا . . وأكملت له « عالية » جملته : وتمويننا لنخزنه على هذا الرفّ الصخرى.

بسط الأربعة الكليم على أرض الكهف الخضراء ، وجلسوا يتشاورون فيما بينهم ، بعد أن فتحوا الستارة الخضراء قليلاً ليدخل إليهم الهواء العليل ، المبلّل برذاذ الشلاّل . .

وقالت « عالية » : ياله من مكان جميل . . لا مانع عندى أن أعيش هنا بعض الوقت .

فأجابها « **عارف** » : بل ستعيشين هنا طويلاً ! ! . . وقال « سمارة » : يكفينا أن « مجاهد » وزميله « معروف » لن يعثرا علينا هنا ! وقال « عامر » : الظاهر أننا مقبلون على مغامرة رهيبة . . وكل ما أرجوه أن والدينا وخالنا « ممدوح » لا يقلقون علينا كثيراً . أليس هناك من طريقة نوصل بها أخبارنا إليهم ؟؟.

فأجابه « عارف » : هذا مستحيل . . فلا اتصال لنا مع العالم

الخارجى إلاّ عن طريق « مجاهد » و « معروف » .

أما « زاهية » السعيدة . . فكانت لها حريّة الانتقال .

تغنى وتصفّر وتقلّد ما تسمعه من أصوات وكلمات ، وهى تطير حول مياه الشلاّل ، وتقف على شجرة الصفصاف ، وتدخل عليهم الكهف فى طلب الطعام . . لا تعول همّاً .

استيقظ الأربعة فى الصباح المبكر وهم أكثر ما يكونون نشاطاً . قال « عامر » أنه سيصطحب « سمارة » معه الى الإسطبل ، حيث يراقبان « مجاهد » و « معروف » وأنهما سوف ينتهزان الفرصة لإحضار باقى الطعام ، إذ لا داعى لتركه هناك . ونبّه على « عارف » أن يلازم « عالية » ولا يتركها وحيدة فى لحظة من اللحظات ، وأن يسدل فروع الشجرة ليقفل بها باب الكهف ، حتى لا تتبع « زاهية » « سمارة » عند رحيله ، وحتى لا يفاجئهما « مجاهد » و « معروف » .

وبعد أن رحل « عامر » و « سمارة » ، وجد « عارف » ألاّ عمل له ، فاضطجع على ظهره ليستريح ، وليدّخر قواه للمستقبل المجهول ! ولكنه غفا . . وعندما وجدت « عالية » نفسها وحيدة ، رقدت بجواره وغفت بدورها .

استيقظت « عالية » من غفوتها ففوجئت بالسكون يخيّم

على الكهف . وكانت تنتظر على الأقلّ تحية حارة من « زاهية » ! وهى تصيح فى وجهها : صباح الخير ! صباح الخير ! فجالت « عالية » ببصرها فى رجاء الكهف الصغير . ولكن لا حسّ ولا خبر عن « زاهية » ! فنادت عليها . . ولكن لا حياة لمن تنادى ! كان من المستحيل أن تغادر « زاهية » الكهف الذى تسدّ بابه فروع الشجرة المتهدّلة . فأين ذهبت هذه الشيطانة الداهية ؟ أتكون غاضبة على فراق صاحبها ! وأنها تختفى فى ركن من سقف الكهف احتجاجاً على هذه المعاملة الجافة ؟!.

تناولت « عالية » البطارية وبحثت على ضوئها فى أركان الكهف ، ولكن « زاهية » كانت قد اختفت تماماً ! وأخيراً لفت نظرها وجود طاقة مظلمة فى سقف الكهف ، وكانت تلامس رأسها . لا بدّ أن الببغاء اختفت فيها ! فنادت عليها : يا « زاهية » . . يا « زاهية » . . أين أنت ؟. إنها لا تردّ ! يالها من ماكرة.

تسلّقت « عالية » الرفّ الصخرى ، وأطلّت برأسها داخل الطاقة ، فلم تر شيئاً سوى الظلام المخيف ! فأضاءت البطارية فكشف ضوؤها عن فضاء متسع يسوده السكون والرهبة والظلام ! فزحفت داخل الطاقة حتى وقفت وسط هذا الفضاء على أرض صخرية منبسطة .

أما «عارف» فقد صحا بعد قليل ، ليجد نفسه وحيداً فى الكهف . يبحث عن أخته ولكنها اختفت ! نادى على «زاهية» ولكنها لم تجب .. أين ذهبتا ؟ فالكهف صغير .. ولا مجال فيه للاختباء !

وبينما هو فى حيرته إذا به يلمح ضوءاً كهربائيًّا يتسرب من سقف الكهف ، وصوت «عالية» يهمس إليه يناديه : أسرع يا «عارف» .. ادخل من هذه الطاقة ، لقد اكتشفت اكتشافاً عجيباً !! تسلّق «عارف» الرّف الصخرى ومرق بجسمه من الفتحة ، فوجد نفسه مع «عالية» وسط الفضاء المظلم الرهيب !. تحدثت إليه «عالية» وهى تهمس : هذا كهف واسع ، وأظن أن «زاهية» اكتشفت الفتحة فدخلت منها ، ولا بد أنها ترقد الآن فى ركن من الأركان .. فلننادى عليها ..

قالت هذا وصرخت بأعلى صوتها : «زاهية» !!

فجاءها صوت مخيف يتردّد فى أرجاء الكهف يملأ فراغه وهو ينادى : «زاهية» !.. «زاهية» !!.. «زاهية» !!..

صمتا فى رعب ، إلى أن سمعا صراخاً يدوى فى الفضاء وهو يقول : «زاهية» مسكينة !.. مسكينة !.. مسكينة !..

فهمس «عارف» فى أذن «عالية» قائلاً : لا تخافى يا «عالية» .. إنه صدى الصوت يتكلّم ! هكذا يحدث دائماً فى الكهوف ! . إنها «زاهية» تردّ علينا بعد أن سمعتنا.

وعندما اطمأنت «زاهية» أنها ليست وحيدة فى الكهف ، أخذت تغنّى وتصفّر ، وكأنها فى غابة برازيلية موطن أجدادها . ولكنها عندما شرعت فى تقليد صوت القطار بأعلى صوتها ، كاد صداه يمزّق الآذان ، وكان الهواء يتخلخل حتى خيّل إليهما أن سقف الكهف سينهار ! وفجأة طارت «زاهية» وتربّعت على كتف «عالية» ، ثم أخفت رأسها تحت جناحها وهى ترتعش من الخوف !

قالت «عالية» : والآن ماذا سنصنع ؟ فأجابها بلا تردّد : سنواصل السير لنرى أين يقودنا هذا الكهف ! ويالها من مفاجأة تنتظر «سمارة» و «عامر» عندما يشاهدان هذا الكهف.

سارا فى الكهف وكان يتسع أمامهما تارة ، ويضيق تارة أخرى ، وهما يتكلمان همساً تفادياً لترديد الصدى المخيف . أما «زاهية» فقد أطبقت منقارها ولزمت الصمت التام ! وكانا كلّما تقدما فى السير جاءهما صوت هدير مياه يسمعانه. من بعيد . إلى أن لمحا ضوءاً يتسرّب من فتحة واسعة فى نهاية

الكهف . فتوجّها صوبها وخرجا منها . وكم كانت دهشتهما
عندما وجدا نفسيهما يقفان وراء الشلاّل المائى الصغير ، على
رصيف صخرى يشبه الشرفة !.. وكان سيل المياه المتدفق
أمامهما يسترهما عن أنظار المتطلّعين من الخارج !

يالها من بقعة خفيّة ! يصعب حتى على الجنّ اكتشافها ! !

عادا أدراجهما إلى مخبأهما الصغير ، حيث الأمان
والطمأنينة . وهما يتنفسان الصعداء على اجتيازهما هذه المغامرة
الصغيرة بسلام . وكان الفضل فى اكتشافها يعود بلا شك إلى
الداهية « زاهية » !

جلسا يتحدثان عن الكهف المتكلّم ، فقالت « عالية » :
إنه كهف عجيب ، لا يُستدلّ على مكانه إلاّ بالحظ والصدفة !
أتظن أنه يحوى سراً ؟ فأجابها : أتقصدين كنزاً ؟ فقالت :
نعم . . الكنز الذى يبحث عنه « مجاهد » و « معروف » !
فأجابها : وما أدراك أنهما يبحثان عن كنز ! ربما كانا يبحثان
عن منجم ذهب ! أو عن شخص ! أو ربما كانا من الأشقياء
الهاربين من العدالة ! كل هذا جائز ! .

مدّ « عارف » يده وأزاح الستارة الخضراء ، ولكنه فوجىء
برؤية « عامر » و « سمارة » من بعيد وهما يتسلّقان المنحدر

فى طريقهما إلى الكهف الصغير ، وكانا يحملان زكيبة الطعام .

ولكنه توقّف فجأة وجذب « عالية » من ذراعها وقال :
إنهما فى خطر داهم ! انظرى ! هناك رجلان يتبعانهما ، هما
« مجاهد » و « معروف » بلا شك . . و« عامر » و « سمارة »
لا يشعران بهما !

وما كاد « عامر » و « سمارة » يصلان إلى باب الكهف ،
حتى جذبهما « عارف » إلى الداخل ، وأرخى فروع الشجرة .

كان « مجاهد » و « معروف » لا يزالان يسيران فى أسفل
المنحدر ، فلم يشاهدا « سمارة » و « عامر » عندما دخلا الكهف .
ولما وصلا أمام الشلاّل أخذا ينظران يميناً وشمالاً بحثاً عن
طريديهما ، ولكنهما كانا كفصّ ملح ذاب !

وبعد قليل سمع الأربعة « مجاهد » وهو يصيح : غريب
هذا الأمر ! أهما من الجنّ أم الإنس أم الأشباح ! أم أننا
أصبنا بلوثة فى عقولنا ! ...

زيدان الأسير العجوز



زيدان

كان « مجاهد » و « معروف » يجولان ويصولان بين الصخور والأشجار ، وهما يحاولان عبثاً اكتشاف مخبأهما . وكانا كلّما اقتربا من باب الكهف ، حبس المغامرون أنفاسهم ، وخاصة عندما اهتزت أفرع الستارة الخضراء ، وكانا قد احتكّا بها وهما على بعد خطوة واحدة منهم ! وعلى حين فجأة سمع « مجاهد » و « معروف » صوت قهقهة عالية ترنّ فى الفضاء . فقال « **مجاهد** » : أتسمع هذه القهقهة العالية يا « معروف » ! أيضحكان على خيبتنا الثقيلة .. أم إنها ضحكة أرواح شريرة ؟!..

كانت هذه القهقهة صادرة عن الببغاء « زاهية » بعد أن غافلت « سمارة » ودخلت الكهف المتكلّم ، الذى وجدت فيه

الآن لعبة مسليّة لطيفة ، واختفت وراء مياه الشلاّل ، ووقفت تقلد صوت القهقهة العالية !

أصابهما الفزع والرعب ، وهرعا يغادران المكان لا يلويان على شىء !

اندهش « سمارة » كيف اختفت « زاهية » من الكهف الصغير ، مع أن بابه الأخضر مسدل ! فقالت له « عالية » : « زاهية » خرجت عن طريق الكهف المتكلّم ! فتعجّب « عامر » وقال : كهف متكلّم !! ما هذا الذى تقولين ؟. فروت له « عالية » قصة اكتشافها مع « عارف » للكهف الواسع فى أثناء غيابهما ، وصدى الأصوات التى تتردّد فى أجوائه . وكيف أنهم يمكنهم الآن الاحتماء به فى حالة اكتشاف مخبأهم الصغير المتواضع !

أما الآن فهم يشعرون بالجوع ، وعلى « عالية » أن تحضر لهم الوليمة الفاخرة ! ذهبت « عالية » نحو الستارة الخضراء لتزيحها قليلاً وهى تقول : لا بد لنا من الهواء النقى ، فالمكان صغير يضيق بأربعة أشخاص . فاستدركها « سمارة » قائلا : بل خمسة .. لا تنسى « زاهية » ! وتبعه عامر فقال : بل ستّة !! لا تنسى السحلية ! ها هى الآن بجوارى .. لقد تسللَت إلى الكهف . علىّ بالبسكويت يا « عالية » !

أخذوا يأكلون ويمزحون ، وكأنهم فى بيتهم بالقاهرة . ونسوا – أو تناسوا – ما هم فيه من مأزق خطير لا يجدون له مخرجاً ! فقالت « عالية » : كان يجب أن نستمتع بكل ذلك ، إذا تأكدنا فقط أن والدينا لا يقلقان علينا .

وقال « عارف » : إن المكان رائع . . ولكن من الغريب أنه ليست لدينا عنه أيّة فكرة . . وأين مكانه من الكرة الأرضية !

انتهوا من طعامهم قبل حلول الظلام ، واستعدّوا للمبيت . وكان الهدوء المخيف يخيّم على المكان ، لا يعكر صفوه إلا صوت هدير المياه . وإذا بهم يفيقون فجأة على صوت يعلو ثم يعلو حتى أصبح يطغى على صوت هدير الشلاّل ! استمعوا إلى الصوت ، وكان مصدره يأتى من السماء . فلما هرعوا إلى الخارج يستجلون الأمر ، وجدوه طائرة تحلّق فوق رءوسهم !

أخذوا يهلّلون ويصيحون من الفرح . . أخيراً ! لقد أتاهم الله بالفرج القريب ! لابدّ أنها طائرة تحمل خالهم « ممدوح » جاء لينقذهم أخيراً ، ويحملهم إلى حيث الأمان ! ولكن واحسرتاه ! إن سعادتهم لم تتم ! فقد نسوا فى غمرة الفرح طائرة الريّس « مجاهد » . . نعم . . إنها هى بعينها . . على كل

حال هذا أمر يمكن التأكد منه ، وما عليهم إلا التسلّل إلى المكان الرابضة فيه والتأكد من وجودها !.

أما إذا كانت هى حقيقة طائرة « مجاهد » التى وصلوا بها ، فقد فقدوا الآن ما تبقّى لهم من أمل . . وآخر وسيلة لإنقاذهم . أيقضون حقًّا بقية حياتهم فى هذا الوادى الرهيب المهجور ؟. الآن فقط لم يصبح الأمر فى نظرهم مجرّد مغامرة ! إنما هى كارثة حلّت بهم . بل هى مصيبة كبرى وطامة عظمى لم تكن لهم فى الحسبان ! ! . .

لو كانوا يعلمون بنيّة « مجاهد » و « معروف » على مغادرة الوادى ، لتسللّوا إلى الطائرة فى جنح الظلام واختبئوا فيها ، ولحملتهم معها إلى أىّ مكان معروف . . أىّ مكان ! ولكن ما فائدة التفكير فى ذلك الآن وقد فات الأوان ، ووقعت الفأس فى الرأس !

* * *

كانوا ينظرون إلى الطائرة وهى تبتعد عنهم وتختفى فى الفضاء ، ليختفى معها آخر خيط من أمل بقى لهم فى النجاة

قالت « عالية » : أتظنّـــون أنهما سيرجعان ثانية ؟

فأجابها « عامر » : أظن ذلك . إنهما يتتبّعان أثراً ثميناً ،

ولا أعتقد أنهما سيخذلان بهذه السهولة ! وقال « عارف » : ولكن ماذا يكون هذا الشىء الثمين الذى يبحثان عنه فى مثل هذا المكان القفر ؟ فأجابه « عامر » : هذا ما يستعصى علىّ إدراكه ! والآن هيّا بنا لنتأكد من أنهما قد غادرا الوادى . ولما وصلوا إلى قرب الكوخ ، تأكّد لهم خلوّه ، كما كان بابه مغلقاً بالمفتاح ، لا يفلح فى فتحه ركل أو رفص ! وكانت النار قد أطفئت وأزيلت آثارها تماماً . قال « سمارة » وهو يضحك : لو كنا نعلم أنهما سيغادران الوادى ، لسألناهما أن يحجزا لنا أربعة مقاعد بالدرجة الأولى فى الطائرة ! ترى متى سيعودان إذا رجعا أصلاً ؟ فقال « عامر » : ليس قبل باكر بأية حال . والآن هيّا بنا نلقى نظرة على الصناديق الخشبية ، ونأكل شيئاً تحت الشجرة . وكانوا قد حملوا معهم بعض الطعام .

وجدوا الصناديق الخشبية الفارغة فى مكانها كما هى ، يخفيها غطاء المشمّع . فاطمأنوا قليلاً على عودتهما ، وإلاّ لنقلا معهما الصناديق فى الطائرة !

وبعد انتهائهم من الطعام والمعاينة ، قفلوا راجعين إلى معسكرهم . وكان فى نية « عالية » أن تصطحب « عامر » و « سمارة » لمشاهدة الكهف المتكلّم ، والذى كانت تفخر دائماً

باكتشافه ! ولكن ما إن وصلوا إلى الكهف حتى صاح « عامر » قائلاً : يالى من غبىّ مهمل . . تصوّروا أنى نسيت فتاحة العلب تحت الشجرة حيث كنا نأكل ! ! .. فقالت له « عالية » : وما العمل الآن ؟ هذه الفتّاحة هى نصف حياتنا ، وماذا لو ضاعت ! إننا سوف نموت جوعاً ! فقال « عامر » سأذهب للبحث عنها ، ولتذهبى أنتِ يا « عالية » مع « عارف » و« سمارة » لمشاهدة الكهف المتكلّم ! وسأراه أنا فى فرصة أخرى . . فالفتاحة أهم من الكهف !

غادر « عامر » المكان وكان يصطحب معه « زاهية » . . وكانت تصيح بشدة احتجاجاً على فراقها « لسمارة » وكانت تصيح : « زاهية » مسكينة ! « زاهية » مسكينة !

عثر « عامر » على الفتاحة حيث تركها ، وما كاد يقفل راجعاً حتى سمع أزيزاً مألوفاً ، أخذ يعلو حتى لاحت له طائرة .

فتعجب « عامر » وأخذ يحدّث « زاهية » قائلاً : ما هذا ! لم أكن أنتظر عودتهما بهذه السرعة الخاطفة لا بدّ أنهما ذهبا إلى مكان قريب ! والآنِ إياكِ يا « زاهية » أن تفتحى منقارك بكلمة واحدة ! . قال هذا وتوجّه إلى الشجرة القريبة من الكوخ ، وتسلّقها فى انتظار وصولهما ، لعلّه يسمع أو يرى


جلس الأسير على الارض وهو يئن من الإعياء الشديد

منهما ما يميط اللّثام عن مهمتهما .

كان «عامر» يراقب الطائرة بمنظاره ، وكم كانت دهشته عندما رأى أربعة أشخاص يهبطون سلّم الطائرة : الريّس «مجاهد» و«معروف» ، يتبعهما رجل غريب يقود عجوزاً ، تظهر آثار الكلل والإعياء على وجهه ، فى حين قيّدت يداه بحبل خلف ظهره !

كان من الواضح أن العجوز أسير ، وكان يتعثّر فى سيره ، ولكن حارسه غليظ القلب كان يركله بقدمه ، ويسحبه ويدفع به إلى الأمام ! وهكذا ظلّ الركب يسير ، يتقدمه الأسير ، حتى وصلوا إلى المعسكر .

أوقد الريّس «مجاهد» النار ، وطلب من «معروف» أن يذهب إلى الكوخ ليحضر بعض الطعام ، بعد أن أعطاه مفتاحه الغليظ . على حين جلس الأسير على الأرض وهو يئن من الإعياء الشديد . أما حارسه فقد جلس بجواره وهو ينظر إلى الريّس «مجاهد» فى صمت . وكانوا يأكلون ويتحدّثون بصوت خافت ، لم يصل كلّه إلى أذنى «عامر» . وكان الأسير ينظر إليهم فى لهفة يسألهم بعض الطعام والماء . ولكن «مجاهد» ضحك ضحكة ساخرة وقال : لن تأكل أو تشرب قبل أن

تخبرنا عمّا نريد ! وعندما لم يجب الأسير ، لكمه حارسه لكمة ترنّح لها ، مما أدخل الذعر والألم فى قلب « عامر » ، وكان يرثى لحال الأسير العجوز المغلوب على أمره . وأخيراً نطق الأسير وقال : وماذا تريدون منى الآن ؟ أليست الخريطة معكم ! فأجابه « مجاهد » : إنها مبهمة غير واضحة ، ويتعذّر علينا قراءتها ، وربما تكون مضلّلة ! ولكنك ستدلّنا على الطريق بنفسك باكراً ! فقال الأسير العجوز : إنى أشعر بالضعف ، ولا يمكننى السير ، فالطريق وعر والمسافة طويلة و . . . فقاطعه « مجاهد » : لا بأس . . سنجرّك جرّاً إلى هناك إذا اقتضى الحال ! وإذا رفضت فسنميتك جوعاً وعطشاً !

وبعد أن انتهوا من طعامهم ، أخذ « مجاهد » فى التثاؤب ، وقال للحارس : والآن إلى الكوخ ، سننام أنا و « معروف » على المراتب ، وستنام أنت يا « حليمو» على الكرسى ، وسنلقى « بزيدان » على الأرض وهو موثوق اليدين !

سألهم الأسير « زيدان » أن يرحموا كهولته ، وأن يفكّوا وثاقه ، ولكنهم رفضوا . وكان قلب « عامر » ينفطر عليه من الأسى والألم ، ولكن لم يكن فى وسعه أن يفعل له شيئاً !.

هبط الظلام بسرعة وكان « عامر » فى طريقه إلى الكهف

الصغير ، ولكنّ عينيه كانتا كعينى القط تكشف فى الظلام . وكان كلما التبس عليه الطريق دلّته عليه « زاهية » ، فكانت تطير أمامه كالدليل تقوده بغريزتها إلى الطريق الصحيح ! وصل « عامر » إلى الكهف بعد أن كاد « عارف » و « عالية » و « سمارة » ييئسون من وصوله ، واعتقدوا أنه ضلّ سبيله فى الظلام ، أو حدث له مكروه .

ولكنه ما كاد يهلّ عليهم بوجهه فى الكهف ، حتى هللوا لرؤيته ، وسألته « عالية » على الفور : هل وجدت الفتّاحة ؟ فأجابها : نعم وجدتها ، وجئت لكم أيضاً بأخبار هامة !.. هيّا بنا نأكل شيئاً . . وسأروى لكم الكثير عند تناولنا الطعام . .

الريشة مجاهد

روى لهم « عامر » ما شاهده بالتفصيل ، وكانت « عالية » تتألم لما حدث للأسير العجوز « زيدان » .

وقال « عامر » : إن الموقف ابتدأ ينجلى ، فهناك كنز مخبأ فى الوادى ، وإن هؤلاء الرجال فى أثره ، وإنهم تمكنوا بطريقتهم الخاصة من الحصول على خريطة تشير إلى مكانه ، ولكن تعذر عليهم مع ذلك الوصول إليه . وأخيراً وضعوا أيديهم على من يعرف طريقه !

وقال « سمارة » : فأسروه !! وهم يريدون أن يجبروه على أن يبوح بالسرّ الخطير ! فصاحت « عالية » : يا للوحوش ! وهل تظنون أن « زيدان » المسكين سيخضع لهم ؟

فقال « عامر » : إن العجوز لا حيلة له . . وأرجو أن ينفّذ طلبهم حرصاً على حياته . وقال « سمارة » : ولكن ماذا يمكننا

أن نفعله نحن الآن ؟ فقال « عامر » بعد تروٍّ وتفكير : الآن . . يجب على أحدنا . . أو بعضنا . . أن يتبع هؤلاء الرجال لمعرفة هذا المخبأ ، فقد نتمكن بطريقة ما أن نطلب النجدة ، وننقذ هذا الشىء الذى يبغونه . ومن المؤكد أنه لا يخصّهم ! فهم لصوص مجرمون !.

وقالت « عالية » : وماذا تظن هذا الشىء ؟ أهو سبائك ذهب أم جواهر ؟ فأجابها « عامر » : لا أحد يعرف . . قد لا يكون هذا أو ذاك . . وقد لا يكون كنزاً على الإطلاق !

ظلّوا يفكّرون فيما قاله « عامر » ، ولكن « عالية » لم تعجبها الفكرة ، إذ ماذا يحدث لو اكتشفهم الرجال وهم يتتبعونهم وقبضوا عليهم ! هنا تكون الطامة الكبرى !. ثم قال « عامر » : سأذهب مع « سمارة » صباح الغد لتعقّبهم ، وستمكث يا « عارف » مع « عالية » فى الكهف ، فالمغامرة رهيبة ، ولا داعى لتعريض « عالية » للخطر و . . . فقاطعته « عالية » وهى فى أشد حالات الغضب : ماذا تقصد !! أتقصد أن تحتفظ بالمغامرة لنفسك وحدك أنت و « سمارة » ! سأحضر معك أنا و « عارف » مهما كلّفنا الأمر !

رضخ لها « عامر » صاغراً ، فهو أدرى بعناد « عالية »

وإصرارها ، وولعها الشديد بالمغامرة والمخاطرة ، وقال :
حسناً ! ستأتى معنا يا « عالية » . . وسنمرّ من هذا الطريق السفلىّ عند الصخرة السوداء ، وننتظرهم هناك ، ونقتفى أثرهم من بعيد !

وافقوا على خطّته ، واضطجعوا على الكليم استعداداً للنوم المبكّر ، فالغد يوم عصيب . وكان هذا اليوم هو رابع أيامهم فى الكهف الصغير !

° ° °

استيقظ المغامرون وهم يشعرون بالفرح ، فهم مقدمون على مهمة قد تكون خطيرة ، ولكنها قد تكون حاسمة ، ذات نتائج باهرة !

تجمّع المغامرون عند الصخرة السوداء ، وكان « عامر » يجول بمنظاره فى أرجاء الوادى . وأخيراً أعلن لهم بأن العصابة تتقدم فى الطريق . وذكر أنه يرى الأسير العجوز وهو يترنّح فى سيره ، وأن حارسه يدفعه أمامه بقسوة وغلظة وشراسة .

كان الطابور يسير و« مجاهد » فى مقدمته ، لا يغيب أثره عن أعين المغامرين . وكانت « زاهية » تتربّع كالعادة على كتف « سمارة » وهى صامتة ، كأنها تدرك أهمية صمتها فى مثل هذه

المهمة الخطيرة !

وكان « عارف » يتولى عملية حفر العلامات على الصخور وجذوع الأشجار ، تأميناً لسلامة طريق العودة . إلى أن وصلوا إلى مكان منعزل من الجبل ، تتناثر فيه قطع الصخور على مختلف أحجامها ، وجذوع وفروع الأشجار . فقال « عامر » فجأة : ولكن أين « مجاهد » ورجاله ؟ إنى لا أراهم ! لقد اختفوا ! فلنكن الآن على حذر ، فالمكان هنا منبسط مكشوف ، ولكنى أعتقد أنهم فى مكان ما وراء هذه الصخرة الكبيرة . فلنذهب إليها ولا نصدر صوتاً . تسلقوا الصخرة . . فوجدوا بها شجيرة كثيفة اختبئوا وسطها ، وأخذوا ينظرون خلسة على المكان الفسيح . وإذا بهم يرون الجماعة تحتهم عن قرب ، وقد وقف « زيدان » العجوز وسطهم وهو مكتوف اليدين ، يترنّح من التعب والجوع والعطش ! وكان الأسير العجوز يشير بيده ويقول : كان المدخل هنا !.. فصرخ فيه « مجاهد » : ماذا تقصد كان هنا ! أين بالضبط !..

فقال الأسير : هنا فى مكان ما ! فالسيل مرّ من هنا . . وسدّت الصخور المنافذ ، وتغيّرت المعالم !!..

أخذ « مجاهد » يصيح فيه وينهره ، ثم أصدر أمره إلى

الجميع بإزالة الصخور بأيديهم العارية . وكان هذا من المستحيل ، فالصخور ضخمة تعدّ بالآلاف ، لا تزيلها إلاّ آلات رافعة . ونشات قوية ! وكان منظر « زيدان » العجوز يفتّت الأكباد . وهو يقع على الأرض منكفئاً على وجهه ، فى محاولته اليائسة لإزالة الصخور معهم !

وعندما أدرك المغامرون أن « مجاهد » وعصابته قد انتابهم اليأس ، قرّروا الإسراع فى العودة إلى الكهف . وكانوا يهتدون إلى طريقهم بسهولة ، والفضل يرجع إلى دقة « عارف » ومهارته فى رسم الطريق على الأشجار والصخور . ولما وصلوا إلى الكهف وهم يلهثون من التعب والركض ، جلسوا يتحدثون عن الأسير العجوز « زيدان » ، وماذا يفعله الآن هذا المسكين وسط الصخور المتراكمة ، والأشجار التى اقتلعتها السيول من جذورها ! هل تركوه وحيداً بجوار الكنز ليموت بعد عذاب أليم !

وكانت « عالية » أكثرهم تأثراً بما أصاب « زيدان » العجوز ، حتى كادت الدموع تطفر من عينيها ، وقالت : كيف لنا أن نترك هذا العجوز وحيداً وسط هؤلاء الوحوش ، يجب علينا إنقاذه .



وكان زيدان يقع على الأرض منكفئاً على وجهه ، فى محاولته اليائسة لإزالة الصخور معهم !

وقال « سمارة » : هذا أقلّ ما يجب علينا عمله . . ولكنى فى الوقت نفسه أرجو ألاّ يستسلم « مجاهد » لليأس ويرحل عن المكان ، ويتركنا وراءه كالسفينة الجانحة فى خضمّ هذا الوادى الرهيب المنعزل !

* * *

ظلّوا قابعين فى مكمنهم مدة طويلة ، حتى تأكدوا من أن العصابة قد عادت إلى الكوخ بخفّى حنين !.. فقالت « عالية » : والآن . . هل سنترك هذا العجوز المسكين فى وحدته بين الصخور ليموت من الجوع ؟؟.. فأجابها « عامر » : أنا لا أعتقد أن القسوة بلغت بهم حدّ تركه هكذا ليموت . فزيدان مهما كان يحمل بين جنبيه سرًّا خطيراً ، يصعب عليهم التفريط فيه بهذه السهولة !. فقال « عارف » : وماذا تقترح الآن ؟

قال « عامر » : أقترح أن أذهب مع « سمارة » إلى الكوخ أولاً ، لربما اصطحبوا « زيدان » معهم هناك ، وإلاّ فلنذهب جميعاً لإنقاذه من بين الصخور . فقالت « عالية » : افعل ما تشاء . . بشرط إنقاذ « زيدان » من الموت !

غادر « عامر » و « سمارة » الكهف فى طريقهم إلى الكوخ ، وكانت « زاهية » تصرخ كعادتها محتجة على ترك « سمارة »

يذهب بدونها ! ولما أشرف على الوادى بحث « عامر » بمنظاره عن أثر العصابة ، فشاهد عامود الدخان يتصاعد فى الهواء ، فتأكد من وجودهم ، وأنهم يتناولون الآن طعامهم .

ظل « عامر » و « سمارة » فى مكانهما مدة طويلة ، انتظاراً لتحرّك « مجاهد » و « معروف » و « حليمو » ، ولكن ما لبث « عامر » أن رآهم يتجهون نحو الطائرة ، ولم يكن « زيدان » العجوز بينهم !

أين « زيدان » يا ترى ؟ هل تركوه بين الصخور ! أم إنه حبيس الكوخ ؟ ولماذا هم يتجهون نحو الطائرة ؟ أيغادرون الوادى أخيراً بعد أن يئسوا من الحصول على الكنز ؟

يا للكارثة التى ستحلّ بهم لو هم تركوهم وحيدين فى هذا المعتقل !!..

وبعد قليل سمعا أزيز المحركات وهى تدور ، فتملكهما الرعب القاتل ! ولكن ظلّت محركات الطائرة تدور لفترة طالت ، وشاهدهم « عامر » وهم يهبطون من الطائرة – وما زالت محركاتها دائرة – ويحومون حولها ، ثم يدخلونها ثانية . فتأكّد من أنهم يطمئنون على سلامة محركات الطائرة وتجهيزها تمهيداً للإقلاع بها فى وقت قريب . قال « عامر » « لسمارة » وهو

يسلّمه منظاره : امكث أنت هنا وراقب الطائرة ، وسأنتهز فرصة انشغالهم بالطائرة وخلوّ الكوخ ، لربما كان « زيدان » سجيناً بداخله !

عدا « عامر » نحو الكوخ وهو يحتمى فى الصخور والأشجار حتى وصل إليه . فتطلع من النافذة بعد أن قفز وتعلّق بحافتها ، وبحركة رياضيّة بارعة وصلت رأسه خلف الزجاج . وإذا به يفاجأ « بزيدان » وهو مشدود بالحبال إلى كرسى وسط الحجرة . وكان المسكين يتأوه وهو يحاول الفكاك من رباطه . فكان يبدو كأنه صورة مجسّمة للبؤس والعذاب . ولكن كيف له إنقاذ « زيدان » والباب محكم الغلق ، يقف أمامه كسدٍّ منيع !. ولكنه رأى فجأة شيئاً لم تصدقه عيناه فى أول الأمر . . ولكن ها هو أمامه ! كيف يكذّب عينيه ! ها هو مفتاح غليظ معلّق فى مسمار بباب الكوخ . هو مفتاح الباب بلا ريب ، تركوه معلّقاً فى الباب حتى يسهل على كلٍّ منهم دخول الكوخ فى غيبة الآخرين ! فتناول « عامر » المفتاح بيد مرتجفة . . وفتح الباب . . ودخل الحجرة بسرعة ، فنظر إليه « زيدان » وقد جحظت عيناه من الدهشة والمفاجأة . فبادره « عامر » وهو يهشّ فى وجهه قائلاً : جئت لإطلاق سراحك . . تريد أن

تأتى معى ؟

وشرع « عامر » فى فكّ وثاقه ، ووضع الحبال الثمينة فى جيبه ، ثم خرجا معاً . وكان « زيدان » يترنح فى سيره من الإرهاق الشديد . ثم أغلق الباب ووضع مفتاحه على المسمار !

قال له « عامر » : يالها من مفاجأة عظيمة عندما يكتشف « مجاهد » وعصابته فرارك العجيب ، وسيتعجبون كيف تسنّى لك فتح الباب من الخارج وأنت داخل الحجرة ، موثوق اليدين والقدمين . سيظنون أنك من الجنّ ولست من البشر ! فهؤلاء الناس عادة يؤمنون بالخرافات وتسيطر على عقولهم معتقدات غريبة .

كان « عامر » لا يصدّق أنه سيصل « بزيدان » إلى حيث ترك « سمارة » بجوار الإسطبل . فقد كان العجوز يتحامل على نفسه ، و « عامر » يكاد يحمله حملاً !. ولما وصلا ، ساعده « عامر » و « سمارة » على دخول الإسطبل ليبيت ليلته ، حيث كان يتعذّر عليه الآن السير حتى الكهف الصغير . وقال « عامر » « لسمارة » أن يذهب ليخطر « عارف » و « عالية » بما حدث ، وأن يحضر معه طعاماً وشراباً « لزيدان » ، وأنه سينتظره حتى عودته

جلس « عامر » بجواره يتحدث إليه بعد أن أنس له

« زيدان » . ثم فاجأه بقوله : أنت تعرف سرّ الكنز ! فاندهش
« زيدان » وقال : الكنز !! نعم ! نعم ! أنا أعرف مكانه !
أعرف كل شىء عنه .. أنت ولد طيب .. وأنا مدين لك
بالكثير فقد أنقذت حياتى .. سأرسم لك خريطة تقودك إليه ..
فما فائدة الكنز لى وقد أصبحت كهلاً مريضاً على شفا الموت !

تجهّم وجه « عامر » .. فقد كان يعلم مكان الكنز .. إنه
بين أكوام الصخور .. وما الفائدة ولا يمكن أن تصل إليه
الآن يد إنسان !!..

فقال « عامر » : ولكنى أعرف مكان الكنز ، لقد رأيتك
هذا الصباح وأنت تشير « لمجاهد » عن مكانه .. فلا تتعب
نفسك فى رسم الخريطة ! فضحك « زيدان » ضحكة خبث
وقال : إنهم سذّج وبلهاء ! فلا كنز هناك فى هذا المكان !!..

فاندهش « عامر » وقال : أتعنى أنك خدعتهم ! وأنك
كنت تعلم بوجود هذه الصخور ، وادّعيت أن مدخل الكنز
هناك ! أتعنى أن الكنز ليس وراء هذه الصخور !!..

قال « **زيدان** » وهو يضحك : نعم .. لا كنز هناك ! لقد
غرّرت بهم ! وكم أنا سعيد كلّما تذكّرت « مجاهد » وهو
ينبش الصخر حتى أدمى يديه !

يا لها من خدعة بارعة من « زيدان » ! ولكن أين هو
مكان الكنز الحقيقى ؟؟

قال « زيدان » : سأرسم لك خريطة تقودك إلى الكنز .
ثم سكت برهة وقال : وإلى خارج هذا الوادى أيضاً .. عن
طريق ممّر « الرّياح » .. هكذا يسمّونه ! وعليك أن تأخذ
خريطة الكنز لتسلمها إلى سلطات الأمن !

يالسعادة « عامر » عندما سمع هذا الحديث . ويالها من
مفاجأة ضخمة تنتظر خاله « ممدوح » لم تكن تطرأ له على بال .
إنه سعيد بمغامرتهم ، فلن يلومهم عليها أحد بعد الآن !

قال « عامر » : ولماذا لا تأتى بنفسك معنا لتدلّنا على
الطريق ؟ وإلى سبيل النجاة !

فأجابه « **زيدان** » : إنى رجل مريض ، وإذا لم أجد
الطبيب والدواء فسوف أموت هنا ! سأرسم لك الخريطة الآن ،
وكذلك ممر الرّياح . والممرّ ضيّق جداً ولكن يسهل عبوره !

أخرج له « عامر » مفكّرته ، وكان يراقبه بدقّة وهو يخط
عليها بقلمه الرصاص طريق الكنز .

هذا هو الشلاّل .. فهو يعرفه جيداً .. وها هى ذى صخرة
سوداء غريبة الشكل ، تبدو من بعيد كهرم سقارة المدرّج

ثم يتقدم حتى يصل إلى شجرة ضخمة تميل حتى تكاد تهوى على الأرض . . ثم يسير فى اتجاه السهم حتى يصل إلى حائط صخرىّ شاهق . . وهناك يجد فتحة عالية تصعب رؤيتها . . . هى مدخل كهف فى باطن الجبل الأصمّ . . . حيث يوجد الكنز الدفين ! ! . .

ثم تابع الرسم وهو يشير إلى طريق ممرّ الرياح ، فى منحنيات ومنحدرات خطرة وعرة . . حتى يصل إلى الممرّ . . حيث لا تخطئه عين . فهو ممرّ ضيّق جداً بين جبلين مرتفعين ! كان « عامر » مأخوذاً بالرسم لا يفكر فى شىء سواه ، حتى فاته أن يسأل العجوز عن فحوى الكنز . . أو عن مكان إقامتهم وأين هم . . . أوعن المكان الذى يؤدى إليه ممر الرّياح ! ! . .

ولماذا العجلة وهو سيأتى إليه فى الغد ، ليصطحبه بعد أن يستريح ، إلى مخبأهم فى الكهف الصغير ، حيث يخفيه عن أيدى عصابة الشّرير « مجاهد » .

وصل « سمارة » بالطعام والشراب ، فأكل « زيدان » وشرب بنهم وشراهة . وشكرهما كثيراً على إنقاذهما حياته .

ثم تركاه وحيداً فى الإسطبل ، على وعد منهما بأن يعودا فى الغد ليقوداه إلى حيث يقيمون فى مخبأهم الأمين

فى الطريق إلى الكنز



سمارة

سارع « عامر » بصحبة « سمارة » يتحدثان وهما فى طريقهما إلى الكهف الصغير فقال « عامر » : أتعرف يا « سمارة » ما حصلت عليه من « زيدان » ؟ إنها خريطة تبين موقع الكنز . فأجابه « سمارة » بلا مبالاة : هذا ليس بجديد علينا ، فنحن نعرف أين هو الكنز !

فقال « عامر » : أبداً ، لقد غرّر بهم هذا العجوز ، والكنز فى موقع آخر ! فسأله « سمارة » بلهفة : وما هو هذا الكنز ؟ فأجابه : لقد نسيت أن أسأله ، وسنعرف ذلك منه غداً على كل حال . كما دلنى على طريق الخروج من الوادى عبر ممرّ الرّياح !

كاد « سمارة » يطير فرحاً بهذه الأخبار السّارة المثيرة .

فأخيراً قد لاح لهم طريق النجاة . . والعثور على الكنز . ولكن « عامر » أبدى قلقه على مصير الأسير العجوز . فلا ريب أن الشرير « مجاهد » سوف يقلب عليه الوادى ، عندما يكتشف هربه ، وربما عثر عليه فى الإسطبل !..

وأخيراً وصلا إلى الكهف ، وكانت « عالية » و « عارف » فى انتظارهما وهما على أحرّ من الجمر . فأخذته « عالية » بالأحضان ، وسألته عن « زيدان » العجوز ، فأخبرها « عامر » بما حدث ، وبخريطة الكنز التى رسمها « زيدان » ، وبممر الرّياح طريق النجاة ! فصاحت « عالية » : لقد كنت أحلم دائماً بالعثور على كنز حقيقى ، وها هى ذى الفرصة سنحت أخيراً . متى سنذهب إلى الكنز ؟ باكراً ؟.. فأجابها « عامر » فى حزم : لن نذهب إليه !!.. يجب أولاً أن نخرج من هذا الوادى بأسرع ما يمكن ، لنذهب إلى خالتنا « ممدوح » ، وهو الذى سيتولى البحث عن الكنز ! وأن نتصل بوالدينا لنطمئنهما علينا ! ويؤسفنى جداً يا عزيزتى « عالية » أن أخيّب أملك !

ثم وجّه حديثه إليهم جميعاً وقال : يجب أن ننام مبكرا ، فالغد يوم مشحون بالعمل ! سنذهب أولاً لإحضار « زيدان » ،

ثم البحث عن ممرّ الرّياح ، ثم العثور على خالتنا « ممدوح » !

فقالت « عالية » فى استسلام : الظاهر أن مغامرتنا أصبحت على وشك الانتهاء .

ولكن كم كانت « عالية » بعيدة فى تصوّرها عن الصواب !! لأن مغامرتهم كانت فى الحقيقة لا تزال أبعد ما تكون عن الانتهاء :!! بل هى لم تبدأ بعد !!..

* * *

صحا « عامر » فى الفجر ، ولم يشأ إيقاظهم حتى يأخذوا قسطهم من الراحة استعداداً لمفاجآت اليوم الشاق العصيب .

كان يوماً عاصفاً ، والرياح تهبّ بشدة تكاد تقتلع الأشجار ولكنه رأى مع ذلك أن يتوجّه لإحضار « زيدان » كسابق وعده له . وعندما دخل حيث تركه بالأمس ، وجد المكان خالياً !؟. لقد اختفى الأسير العجوز ! لم تكن فى ذلك مفاجأة كبرى « لعامر » ، فقد كان من المحتمل أن يعثر عليه « مجاهد » . ولكنه رأى قبل أن يرجع إلى الكهف ، أن يذهب إلى « نقطة المراقبة » ليتسلقها ، ويكشف بمنظاره عما يحدث فى الوادى . . لعلّه يرى « زيدان » أيضاً !

وما كاد يصل تحت الشجرة وهو يقاوم الريح ، حتى شعر

بيد فولاذيّة تقبض عليه من الخلف ، وبصوت أجشّ يصيح فيه : وأخيراً ضبطناك يا مجرم !!.. من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟؟! فنظر إليه « عامر » فى فزع ، فعرفه توًّا . . إنه « حليمو » حارس « زيدان » ! كم هو فظّ غليظ خشن المظهر ! لقد كان فى انتظاره بعد أن عثر على « زيدان » فى الإسطبل ، ونقله إلى الكوخ ثانية . وكانوا على يقين من أن أحداً سوف يأتى لإنقاذ « زيدان » .

أراد « عامر » أن يتخلّص من قبضة « حليمو » الحديدية . . ولكن هيهات ! .

كان صرير الرياح يصمّ الآذان ، يكاد يقتلعهما من سطح الأرض ، عندما حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد سقط شىء ثقيل على رأس حليمو من فوق الشجرة !! نظر « عامر » إلى هذا الشىء فوجده إحدى حقائبهم الثقيلة ، وكانت لا تزال بين الفروع كما تركوها ، وقد هوت على أمّ رأس « حليمو » بفعل الرّياح ، فسقط فاقد الوعى بجوار جذع الشجرة السميك ! فبادر « عامر » بإخراج الحبال التى أخذها من الكوخ ، وقيّد بها يدى « حليمو » وقدميه . ثم أخرج حبله الطويل الملفوف حول وسطه ، وأحكم به ربطه فى جذع الشجرة فأصبح



كان صـ ر الرياح يصم الآذان عندما حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد سقط شىء ثقيل على رأس حليمو من فوق الشجرة !

« حليمو » والشجرة قطعة واحدة !

وبعد أن انتهى من هذه المهمة ، تسلّق الشجرة بسرعة ، وصوّب منظاره نحو الطائرة ، ولكنه لم يرها على الممر !! كيف اختفت الطائرة ولم يسمعوا صوت محرّكاتها ؟ لا بدّ أنها طارت أثناء الليل ، وكانوا يغطّون فى نومهم ، واختلط أزيزها بصوت الريح !

تُرى هل غادر « مجاهد » الوادى إلى غير رجعة ؟ وأخذ « زيدان » معه ، بعد أن يئس من استخراج الكنز ؟! هذا لا يهم الآن على كل حال ، سواء غادروا الوادى أم بقوا فيه . . بعد أن اكتشفوا طريق النجاة عبر ممرّ الريّاح . فهم ليسوا الآن فى حاجة إلى طائرة تنقذهم من ورطتهم ! ولكن كيف تركوا « حليمو » وراءهم وحيداً ؟ لا بدّ أن يرجعوا إليه قريباً ! أيكونون قد رحلوا لإحضار المزيد من الرجال والعتاد ؟ هذا أقرب إلى الاحتمال . . .

• • •

عاد « عامر » بأقصى سرعته نحو الكهف ، وكانت الرياح تدفعه من الخلف ، فوصله فى زمن قياسى !. كانوا فى انتظاره على مائدة الإفطار ، أو « كليم » الإفطار كما كانت تسميه

« عالية » .

استقبلته « عالية » بلهفة وهى تسأله عن « زيدان » فظهر القلق على وجه « عامر » وأجابها : لقد رحلت الطائرة ! ورحل معها « زيدان » ! فقالت « عالية » وقد بدا الحزن العميق على وجهها : المسكين . . وماذا سنصنع ؟ فأجابها : والآن . . إلى ممرّ الرّياح ! ! والحمد لله أن العجوز رسم لنا الخريطة ، وإلا لما كنا اهتدينا إلى طريق النجاة ! والآن فلنسرع . وسنحمل معنا أكثر ما يمكن حمله من الطعام والماء ، فمن يعلم متى سنجد طريقنا إلى العمران .

قال « **سمارة** » : إن أشد ما يدهشنى هو أن هذا الوادى غير مأهول ! فلماذا لا يأتى الناس إليه إذا كان فى الإمكان الوصول إليه عبر هذا الممر ؟

فأجابه « **عارف** » : لا بدّ أن هناك سبباً وجيهاً نجهله يمنعهم من ذلك !!..

ساروا فى طريقهم إلى الممرّ ، متبعين الخريطة الموضح بها الدروب والمسالك والجهات الأصلية الأربع ، وعلى هدى البوصلة التى لا تفارق « عامر » . أما حقائبهم فكانت لا تزال فوق الشجرة ، وأمتعتهم فى الكهف الصغير ، تركوها كلها فى

أماكنها ، فهى عبء ثقيل عليهم ، ومادام فى نيّتهم العودة مع خالهم « ممدوح » للبحث عن الكنز !

قال لهم « عامر » : لنسير الآن فى الطابور الهندى !

فسألته « عالية » مندهشة : وما هو الطابور الهندى ؟.. فأجابها وهو يضحك : هو أن يتبع كل واحد منا الآخر فى طابور مفرد طويل .. حتى لا نتفرّق ويذهب كل منا فى طريق ! وهى الطريقة المتبعة فى اختراق الغابات الهندية الموحشة الشاسعة !

كان الطريق شاقاً ، اجتازوا فيه المنحنيات الحادّة ، والمنحدرات والأكمات الخطرة الوعرة ، وهم يسيرون فى الطابور الهندى لئلا يتفرّقوا ، كما أشار عليهم « عامر » ، حتى وصلوا إلى مرتفع يطلّ على جبلين صخريين ، يفصلهما ممرّ ضيّق لا يسمح بمرور سيارة !

قال « عامر » : هذا هو ممرّ الرّياح بلا شك . إنه يبدو ضيّقاً لأننا نراه عن بُعد .. ولكنه سيتّسع عندما نهبط من هذا المرتفع .

ولكن كانت المفاجأة مذهلة عندما وصلوا إلى باب الممرّ ! فقد وجدوه مسدوداً بكتل الصخور الضخمة التى جرفتها السيول !!.. ولا يمكن حتى لماعز جبلىّ أن تتسلّقها !

سكتوا عن الكلام وقد انتابهم اليأس القاتل . كانوا فى أول الأمر لا يصدّقون أعينهم .. ياللحظ العاثر .. لقد كانوا على قاب قوسين أو أدنى من النجاة !

وأخيراً نطق « سمارة » : لا عجب فى أن الوادى مهجور .. فلا دخول ولا خروج ولا مرور ! وأضاف « عارف » : ولا وسيلة إلى دخوله والخروج منه إلاّ بالطائرة !! إن هؤلاء المجرمين قد علموا بسدّ الممرّ فاستعملوا الطائرة !.. لا بدّ أنهم من كبار المجرمين أو المهربين الخطرين .

بدا الاضطراب والوجل واضحاً على وجوههم ، وخاصة « عالية » . فقد تأكد لهم الآن أنهم فى موقف لا يحسدون عليه ! وأن مأزقهم لا مخرج لهم منه إلاّ بفرج من عند الله .

قالت « عالية » بصوت مرتعش : وما العمل الآن وقد حوصرنا فى هذا الوادى ؟! فأجابها « عارف » على الفور : فلنرجع إلى الكهف .. ولنبحث عن الكنز .. لا بدّ أن نعمل عملاً .. فإذا عثرنا على الكنز فسوف يعوّضنا عن خيبة أملنا هذه !. وقال « سمارة » : ولم لا ! فالرجال رحلوا ومعهم « زيدان » .. فليس أمامنا من عمل إلاّ البحث عن الكنز ! وكم سيكون مثيراً أن نعثر عليه .. وأن ننجح فيما لم تنجح فيه

هذه العصابة الخطيرة !

قالت «عالية» وقد نسيت نفسها وذهب عنها الخوف فجأة : وإذا عثرنا على الكنز ، هل سنحصل على نصيبنا فيه ؟؟..
هيا بنا الآن نتصيّد الكنز ! !

* * *

بدءوا مسيرتهم نحو الكنز من الشلاّل تبعاً لما هو مبين بالخريطة ، وتسلّقوا درباً صاعداً وعراً . وبعد سير طويل مرهق شاهدوا من بعيد الصخرة السوداء الهرميّة الشكل . . . إنها تبدو تماماً كهرم سقارة المدرّج ! إنها علامة مميّزة لا يخطئها إنسان ! . ومن هنا أخذوا يجولون بأبصارهم بحثاً عن الشجرة التى تكاد تهوى على الأرض . . إن الأشجار هنا كثيرة ! ولكنها كلّها مستقيمة ! ولكن «عامر» اكتشفها فجأة بمنظاره ، وكانت تنمو فى مكان منعزل على أكمة مجاورة . فصعدوا الأكمة وجلسوا تحت الشجرة ، وكان يخيّل إليهم أنها ستهوى فوق رءوسهم ، حتى يستردون أنفاسهم ، ويدرسون الخريطة . وكانت الخريطة تشير عليهم بالسير شرقاً لنصف ساعة تقريباً ، وهناك يجدون منحدراً يهبطونه ، ثم يتابعون السّير غرباً تبعاً للسّهام المرسومة ، إلى أن يقابلهم حائط صخرى مائل مرتفع !..

وهناك يجدون فتحة عالية . . هى مدخل الكنز ! !..

وأخيراً نجحوا فى الوصول إلى الحائط الصخرى المائل المرتفع . . لا شكّ فى أنه هو بعينه المكان المقصود . وبحثوا عن الفتحة العالية . . ولكن أين هى هذه الفتحة ؟؟ لا فتحات هناك !.

جلسوا أمام الحائط يستظلّون من حرارة الشمس ، وكانت «عالية» تستند بظهرها إلى جذع شجرة وارفة ، وهى تنظر إلى الجدار الصخرى بعينها الفاحصة المدقّقة . وبغتة هتفت وهى تشير بيدها إلى مكان فى الجدار : إنى أرى الفتحة ! انظروا . . . هناك . . . ترون نتوءاً بارزاً كالشرفة ، يحجب عنا الفتحة . . إنى أرى طرفاً منها !

أسرعوا فى تسلّق الجدار وهم يتشبّثون بالأعشاب والشجيرات الصغيرة التى تنمو هنا وهناك بين الصخور ، إلى أن وقفوا على الشرفة الصخرية ، فإذا بهم أمام فتحة غائرة فى الصخر . . يكتنفها الظلام الدامس !

وقفوا أمامها والرهبة تتملّكهم . . أيدخلون إلى المجهول . . أم يكتفون من الغنيمة بالإياب ؟ ألا يكفيهم أنهم اكتشفوا مكان الكنز ؟ ويدعون باقى العمل لخالهم «ممدوح» ؟ فهو



وقفوا على الشرفة الصخرية ، فإذا بهم أمام فتحة غائرة فى الصخر !

من كبار رجال الأمن ، ومن صميم اختصاص عمله البحث عن المخبآت والمهرّبات ، ومطاردة المجرمين والمهرّبين !

ولكن حب المغامرة المتأصّل فى نفوسهم لم يترك لهم مجالاً للتعقّل والرويّة . فقرّروا اقتحام الكهف الغامض ! سواء أكان بداخله الكنز ، أم لم يكن !

حملق « عامر » فى الفتحة وهو يقول : ياللحظ الحسن ! ولكن أيكون هذا هو مدخل الكنز حقيقة ؟. ثم صوّب بطاريته إلى الداخل وقال : أرى هذه الفتحة تؤدى إلى طرقة أو ممرّ . . أما بعد ذلك فهو غامض مجهول !

وبعد أن تردد قليلاً ، سار على مهل وهو يقدّم خطوة ويؤخّر أخرى ، و « عارف » و « سمارة » و « عالية » و « زاهية » يتبعون أثره فى الطابور الهندى .

عامر

كان « عامر » يـرأس الطابور الهندى ، ويتبعـــه الباقون بخطى مترددّة ، حينما قال لهم بنبرات مرتعشة : يبدو أن هذا المكان يصلح لإخفاء كنز ! لنسرع فنحن على وشك العثور عليه !

واصلوا السير فى طرقات تضيق أحياناً ، وتتسع أحياناً أخرى ، وتتلوّى ذات اليمين وذات اليسار ، ولكنها تتّجه دائماً إلى جوف الجبل .

وفجأة اتّسع المكان ، وكشف عن منظر بهتوا له جميعاً ، وتسمّرت أقدامهم على الأرض ! كان ضوء البطارية ينعكس على ما يشبه الأعمدة الثلجية التى تتخذ أشكالاً عجيبة ، تتدلى من سقف الكهف الكبير ، كالنجف المنير ! وأخرى مماثلة أشبه بالخوازيق تبرز من الأرض لترتفع فى اتجاه السقف . كان

المنظر فريداً لم يروا له مثيلاً فى حياتهم . أما « عامر » فكان يعلم ما هو ! فقد قرأ عنه وشاهد صوره فى الكتب والمجلات العلمية . ولكن كم كانت سعادته لأن يفاجأ به فى مثل هذا المكان القصىّ ، وأن يراه أخيراً رأى العين !

صاحت « عالية » فى فرح : أهذا هو الكنز ؟؟.. فاستغرق « عامر » فى الضحك وأجابها : لا . . إن ما يتدلّى من السقف يقال له « « ستالكتيت » ، وما يرتفع إلى السقف « ستالجميت » . وهى من الحجر الجيرى . وأضاف « عارف » : هذا صحيح . . أتذكّر أنى قرأت عنها . . ياله من منظر رائع . . وكأننا فى حلم جميل !

وكانت « زاهية » منبهرة مثلهم بالمنظر الخلاّب ، وقد حاولت أن تقلّد بصوتها هذه الأسماء الصعبة النطق بعد أن سمعتها . . ولكنها أخفقت !

قالت « **عالية** » : وكيف تنبت هذه الأشكال من السقف والأرض ؟

فأجابها « عامر » : إنها لا تنبت ! لأنّه لا حياة فيها . . بل هى تتكوّن ! فالماء يتسرّب من خلال الصخور ، وترسب ما تحتويه من ذرّات الكلس والجير على مرّ المئات بل الآلاف



من السنين ، لتتدلّى من السقف ، وتأخذ هذه الأشكال العجيبة . وهى المعروفة باسم « ستالكتيت » . أمّا قطرات الماء التى تتساقط منها على الأرض نقطة نقطة ، فهى تكوّن الـ « ستالجميت » ، التى ترتفع ببطء حتى يلتقيا ويكوّنا عموداً متصلاً .

فسألته « عالية » باهتمام شديد : وكم من الوقت تستغرق هذه العملية لتكوّن هذا العمود الكبير مثلاً . . فأجابها : الملايين من السنين ! ويمكن للعلماء أن يقدّروا عمر الكهف من أطوال هذه الأعمدة ! .

أما « سمارة » فظلّ طول الوقت صامتاً ، فهو لم يقرأ أو يسمع عن مثل هذه الظاهرة الطبيعية النادرة . وهو دخل الكثير من الكهوف فى مرسى مطروح مسقط رأسه ، ولكنه لم يشاهد قطّ مثل هذه الغابة من التماثيل والأشجار البيضاء ! إنها أجمل فى نظره من كهف علاء الدين الذى سمع عنه فى الأقاصيص !

تابعوا السير من خلال الأعمدة البيضاء البرّاقة ، وكأنهم يخترقون غابة سحريّة ، إلى أن وصلوا نهاية الكهف . فقال « عامر » : لا يمكن أن يكون الكنز هنا ! لنتابع السير من هذه الفتحة . وكانت هذه الفتحة تشبه بوّابة مقوّسة ، مرّوا من

تحتها ليجدوا أنفسهم فى كهف مظلم واسع .

انجلى هذا الكهف عن منظر عجيب ، جعلهم ينسون كهف الغابة السحرية !

رأوا ما يشبه النجوم الدقيقة وهى تتحرّك وتطير فى أرجاء الكهف ، وتضئ المكان بنور خافت ، سماوىّ وأخضر . أهو ماس أم فيروز يتلألأ على الجدران ؟ أيكون هذا هو الكنز ؟

همست « **عالية** » : ما هذا ؟ إن الكهف يموج بالحركة ! أهى نجوم حيّة ؟ أم هى نجوم فى دور التكوين ؟.

لازمهم الصمت طويلاً . فإن أحداً منهم لا يعلم ما هذا ! وأخيراً قال « عامر » ! يبدو أنها نوع من الحشرات المضيئة ! لقد قرأت عنها ويسمونها أحياناً « سراج الليل » . قال هذا وصوّب البطارية فى أرجاء الكهف ، فاختفت الأضواء الزرقاء والخضراء . إنها لا تظهر إلاّ فى الظلام !

فصاحت « **عالية** » : لقد اختفت النجوم المضيئة . . أطفئ النور يا « عامر » لنراها ثانية . . كم أودّ أن أحصل على القليل منها لتضئ لى غرفة نومى !

وقال « **عارف** » : لقد اكتشفنا كهفاً متكلماً ، وكهف الغابة البيضاء السحرية ، وكهف النجوم المضيئة السماوية . . .

ولم يبق أمامنا الآن إلا اكتشاف كهف الكنز ! ! .

أطفأ « عامر » بطاريته ، واخترقوا كهف النجوم فى الظلام ، إلى أن وصلوا إلى عدد من الدرجات الصخرّية ، هبطوا منها ليجدوا أكبر مفاجأة كانوا يحلمون بها ! .

رأوا باباً ضخماً متيناً ، يقف فى طريقهم كالسدّ ! لا بدّ أن يداً قد وضعت هذا الباب فى هذا المكان . فهو بلا شكَّ لم يتكوّن كالغابة السحرية على مرّ الدهور . . إنه من الخشب وليس من الحجر الجيرى ! أيكون هذا الباب وضع هنا ليسدّ كهف الكنز ؟ وليحرسه من أيدى العابثين أمثالهم ! ! . .

كانت « عالية » تفحص الباب بنظراتها المدقّقة ، وقالت : هذا الباب ليس له مقبض ! فكيف نفتحه ؟ هل نادى « افتح ياسمسم ! » . فأخذ « سمارة » يركله بقدمه لعلّه ينفتح كما فعل مع باب الكوخ ، ولكنه استعصى عليه . . فقد كان الباب من خشب الأرْو المتين ، تبرز منه مسامير كبيرة ذات رءوس ضخمة ، وله مزلاجان من الحديد .

قالت « عالية » وهى تشير إلى مسمار معيّن : ألا ترون معى أن هذا المسمار بالذات مصقول لا يعلوه الصدأ ! صوّب « عامر » بطاريته نحوه ، فوجده أكبر حجماً من باقى المسامير ، كما أن

له سطحاً لامعاً ، كأن يداً قد اعتادت على استعماله !

ضغط « عامر » على المسمار ، ثم دقّ عليه بعنف ، ولكن دون جدوى ؟! إلى أن هداه التفكير إلى إدارته يميناً ، فدار المسمار فى يده بسهولة ، ثم دفع الباب فانفتح !

انفرج الباب عن كهف واسع مظلم ، لم يتبيّنوا ما بداخله أول الأمر . وما إن أدار « عامر » ضوء بطاريته فى أرجاء الكهف ، حتى بادرت « عالية » بالإمساك بذراع أخيها « عامر » لتحتمى فيه ، وصرخت : يا إلهى ! إن الكهف يكتظّ بالناس ! ! . .

سرت القشعريرة فى أجسامهم ، وتجمدت أطرافهم ، والتصقوا ببعضهم ، حتى صاروا كشخص واحد ! .

وكان الضوء الخافت المنبعث فى أرجاء الكهف ، يزيد من هيبة المنظر ورهبته !

كان الكهف يمتلئ بعشرات الأشخاص ، رجالاً ونساء ، بعضهم واقف ، وبعضهم جالس ، والآخر نائم ! . وتنتشر بينهم الحيوانات على اختلاف أنواعها ، ميّزوا من بينها الكبش والقرد والتمساح والعجل والصقر وغير ذلك !

كان كل ما فى الكهف جامداً لا يتحرك ، لا تصدر عنهم حركة أو لفظ أو إشارة !

وبعد أن بدأت الحياة تدبّ فى أطراف المغامرين ،
همست « عالية » بصوت لا يكاد يسمع : أنا خائفة ! هيّا بنا نغادر هذا المكان المرعب المخيف . . إنهم ليسوا أحياء ! ولكن « عامر » تشجّع وخطى خطوة إلى الأمام ، ووقف أمام أحد الرجال يفحصه بدقّة . وبعد أن هدأت نفسه قليلاً ، صاح عليهم : ادخلوا . . لا تخشوا شيئاً . . إنها تماثيل !

تقدم « عارف » و« عالية » و« سمارة » إلى الأمام فى بطء ، وأخذ الجميع يتجولون فى الكهف بين التماثيل المنتشرة ، وكانوا يلزمون الصمت التام ، لا خوفاً ولا وجلاً ، بل من روعة ما رأوا ، واحتراماً لتراث الأجداد والأسلاف !

لقد كانوا فى متحف للآثار المصرية القديمة . كل قطعة واحدة منها تساوى كنزاً بأسره !

كانت بعض التماثيل حجرية ، وبعضها خشبية . وكانت هناك أيضاً توابيت حجرية ، وأخرى خشبية ذات غطاء ملوّن بأزهى الألوان والكتابات الهيروغليفية ، وصور الحيوانات والطيور . وهنا وهناك تماثيل صغيرة لحيوانات مختلفة .

وكان أول من تحدث منهم هى « عالية » ، فهمست « لعامر » وسألته : وما هذا ! لا تقل لى إنه تمثال حجرى ! . .

فأجابها والدهشة تتملّكه : بل هى مومياء محنّطة لرجل . . ربما لملك أو أمير ! وهذا الذى بجوار المومياء هو تمساح محنّط ، لا بدّ أنه مسروق من مقبرة التماسيح فى منفلوط ، وهذه مومياء قرد ، مسروقة من مقبرة القرود بطيبة . وبمناسبة القرود يا « عالية » ، من الطريف أن من عادتها الصياح عند مطلع الشمس وغروبها ، فكان قدماء المصريين يعتقدون أنها إنما تصيح ترحيباً بالإله الأزلىّ « رع » الذى خُلِق البشر من دموعه ! ! . .

وقال « **عارف** » : هذه الآثار مسروقة ، هرّبتها وجمعتها هنا عصابة خطيرة من المجرمين العتاة . وهى آثار لا تقدّر بمال . فنحن وقعنا على كشف هام ، لا يقلّ أهمية عن كشف اللورد « كارنارفون » و« هوارد كارتر » لمقبرة توت عنخ آمون !

كان « عامر » يشعر بالسعادة وهو يجوس بين هذه الآثار . فهو يعرف عنها الكثير ، لولعه الشديد بقراءة كتب الآثار المصرية القديمة . إلى أن لمح مدخلاً فى ركن من أركان الكهف . فنادى عليهم ودخلوا منه ، فإذا بهم فى كهف صغير ، يمتلئ بالصناديق الخشبية . وكان بعض هذه الصناديق يحتوى على لفافات وأفرخ كبيرة من الورق القديم الذى كاد البلى

يزيل آثاره !

قال « عامر » : هذه ثروة كبيرة من أوراق البَرْدى الثمين !

فسألته « عالية » : وما هو البَردى ؟ فأجابها : هو الورق المصنوع من سيقان نبات البَردى ، الذى كان ينمو بكثرة على ضفاف النيل . وهو عبارة عن ساق طويلة ملساء تشبه البوص ، وتنمو من ثلاث إلى عشر أقدام . وتحمل الساق فى أعلاها فروعاً دقيقة كالشعر الخشن ، ذات أوراق صغيرة ، وجذور قوية . وقد استعمل قدماء المصريين هذا الورق منذ حوالى ألفى عام قبل الميلاد . وظلّ هذا الورق لألفى وخمسمائة عام هو الوسيلة الوحيدة التى عرفها الإنسان للكتابة . فقاطعته « عالية » قائلة : ولكن كيف كانوا يصنعون الورق من ساق هذا النبات العجيب ؟ فأجابها : اتّبع المصريون فى صناعته طريقة بسيطة جداً ، فكانوا يقشّرون السيقان ، ويأخذون منها اللّب ويفرطحونه إلى شرائط مستطيلة ، يوضع الشريط منها بجوار الآخر ، ثم يضعون فوقها شرائط مماثلة مستعرضة ، ثم تغرّى بدقيق القمح ، أو بماء النيل المملوء بالغِرْيَن أى الطمى . ثم تلقّ حتى تصبح مسطّحة ، وتجفّف فى الشمس !.

أخذ « عامر » يخرج بعض اللفائف والأوراق من صناديقها ،

ويتحسّسها بأنامله برفق وعناية ، كأنه يتحسّس فراشة دقيقة . وكان الثلاثة يقفون حوله ، وعيونهم تأكل الورق من فرط الإعجاب بما فيه من رسوم ملونة وكتابات ورموز !

بدأ « عامر » يقلب فى الأفرخ ورقة ورقة ، وقد نسى العالم حوله ، و« عالية » تنهال عليه بأسئلتها التى لا تنضب . وكانت تستمهله ليشرح ما خفى عليهم من صور ورموز ، وكان هو يتولى تفسير ما يعرفه منها .

فهذه الصورة لابن آوى . . إله التحنيط . . وهذا هو الكبش « خنوم » . . إله الشلالات التى كان المصريون يعتقدون أن النيل ينبع منها . وهذه المرأة التى برأس لبؤة . . هى « سخمت » إلهة القوة والحرب . وهذا هو « بتاح » رب الحرف والصناعات . وهذا هو « أبوفيس » الثعبان الأرقط ، والعدّو اللّدود الذى يعترض الشمس عند سياحتها إلى عالم الآخرة وبالعكس . أما هذه فهى « إيزيس » سيدة السماء الجميلة !

ووقفت « عالية » عند ورقة وصاحت : هذا هو « سيد قشطة » ، فقال لها « عامر » : هذه هى فرس البحر « تاورت » إلهة الولادة !. وعندما رأت صورة لطائر أخضر صاحت :

هل هذه ببغاء ؟ إنها تشبه « زاهية » ! فأجابها : هذه هى العنقاء ، أو الفونيكس « بنّو » وتمثّل الروح عند قدماء المصريين .

ثم رأت صورة لشاب تتدلّى من رأسه خصلة من الشعر كالضفيرة ، على جانب واحد من صدغه ، فسألته عن معنى ذلك ، فأجابها : هذه الخصلة تعنى أن صاحبها أمير ملكى !

وهكذا قضى « عامر » ساعة من الزمن فى الشرح والتفسير ، حتى تعب أخيراً من « عالية » وأسئلتها .

ثم فتح صندوقاً صغيراً لا يلفت النظر ، فوجده يمتلئ حتى حافته بالعملات المعدنية القديمة : الإغريقية : والرومانية والبطلمية والإسلامية . وصندوقاً آخراً يمتلئ بالجعارين .. رمز الخلْق الجديد عند قدماء المصريين ! ياله من كنز لا يقدر بثمن !

قال « عامر » : لا شكّ فى أن عصابة الرئيس « مجاهد » كانت تجدّ وراء البحث عن هذه الكنوز . وأنها أتت بالصناديق الخشبية الكبيرة لتعبئتها فيها بعناية ، ثم حملها بالطائرات إلى جهة مجهولة .

وقال « عارف » : إنى ابتدأت أيقن الآن أننا نوجد فى وادٍ

قريب . يقع بين وادى الملوك وبين شاطئ البحر الأحمر . وهو مكان مثالى لمهربى الآثار ولصوص المقابر . فهو يتوسط مواقع السرقة ، ومواقع التهريب على البحر الأحمر ! كما أنى لا أشك فى أن « مجاهد » يرأس عصابة دولية لسرقة وتهريب الآثار ، أو هو عميلها فى مصر !! فأجابه « عامر » : هذا محتمل جداً ، وسوف نكشف النقاب عنه قريباً .

وفى ركن من أركان كهف البرديات والعملات والجعارين ، وجدوا مدخلاً صغيراً ينبعث منه الضوء ، فدخلوا منه وإذا هم وسط كهف صغير أشبه بالحجرة . وكان ضوء الشمس يسطع فيه من خلال ثغرة واسعة فى حائط الكهف ، تطلّ على الخارج كالنافذة ! وكانت الغرفة مؤثثة بأريكة ومائدة منهالكة ، وبعض المقاعد ، وبكليم أسيوطى مزيّن بالرسوم الفولكلورية الصعيدية الجميلة وكان هذا الكليم معلقاً على الحائط الصخرى !!.

قالت « عالية » وهى تجلس على الأريكة : هذه الحجرة هى « استراحة » اللصوص والمهربين ! كم كان بودّنا أن يكون خالنا « ممدوح » معنا فى هذه المغامرة !

نقلوا طعامهم وما حملوه من أمتعة خفيفة إلى حجرة

« الاستراحة » . وأخفوها تحت الأريكة ، ثم جلسوا يتشاورون .
إنهم اكتشفوا الكهف ، ولكن ما الفائدة وهم الآن سجناء الكنز ! لا يعلم بوجودهم أو يشعر بهم مخلوق ، واختفت آثارهم عن العالم الخارجي . وماذا يفعلون بالكنز وقد قارب طعامهم على النفاد ! أيأكلون التماثيل وأوراق البردى والحيوانات المحنطة والجعارين والمومياوات ! !

وبينما هم يحاولون عبثاً إيجاد مخرج لورطتهم ، إذ يصل إلى أسماعهم صوت أزيز طائرة ! فهرعوا إلى الثغرة يطلّون منها إنها طائرة « مجاهد » ما فى ذلك شك !

فقال « عامر » : لقد عاد الرجال بالطائرة ! لا بدّ أنهم انتزعوا السّر من « زيدان » المسكين ! وعرفوا منه مكان الكنز الحقيقى . يجب علينا الحذر من الآن فصاعداً ! !..

الكمين


عارف

عقد المغامرون مجلساً فيما بينهم ، أسموه « مجلس الحرب» وصلوا فيه إلى النتيجة التالية : إن العصابة عرفت مكان الكنز ، وإنهم لا محالة فى طريقهم الآن إليه ، وإنهم لن يتمكنوا بأية حال من إيقاف العصابة عن الاستيلاء على ما يريدون . . فهم رجال شرسون أشدّاء ! .

وكانت المناقشة تدور بينهم عما إذا كان من الأفضل لهم العودة إلى الكهف الصغير بجوار الشلاّل والاحتماء فيه ، فلا أحد – حتى الآن – يعرف مكانه غيرهم . أم الانتظار فى أحد كهوف الكنز الكثيرة ، وليكن مثلاً كهف الغابة البيضاء السحرية الواسع ، إذ يسهل عليهم الاختفاء وراء الأعمدة الجيريّة !

اتفق رأيهم فى النهاية على الانتظار حيث هم ، ومتابعة ما سوف تتمخّض عنه الحال . كما قرروا أن يتناوب « عامر » و « عارف » و « سمارة » الحراسة كل ساعة خارج فتحة الكهف الخارجية .

كان الظلام قد حلّ ، فناموا ليلتهم فى الاستراحة . إذ من غير المعقول أن يبحث « مجاهد » وعصابته عن الكنز فى بهيم الليل . وأن يبدأ « عامر » أولى نوبات الحراسة فى الصباح الباكر عند بزوغ الشمس ، ثم يتبعه « عارف » « فسمارة » .

كان « عامر » يجلس على الشرفة الخارجية مع مطلع الشمس ، وفى يده منظاره يدور به فى أرجاء المكان القفر . فكان لا يرى سوى الجبال والتلال والصخور والأودية والأشجار . ظلّ هكذا حتى قاربت نوبته على النهاية ، وكان يصوّب المنظار نحو شجيرة كثيفة فى أسفل الجبل ، خيّل إليه أنها كانت تهتز ! من الجائز أنها تهتزّ بفعل الهواء ، أو أنها تأوى أرنباً أو ابن آوى أو ماعزاً جبلياً !

ولكنه أصيب بصدمة كادت تفقده توازنه ، وتطيح به من أعلى الشرفة ! تحجّرت يداه على المنظار ، فقد كان « مجاهد » يحتمى بالشجرة ، ويتطلّع إليه فى نفس الوقت بمنظاره ،

حتى تلاقت النظرات . . من خلال العدسات !

إذن لقد جاء « مجاهد » وراء الكنز ! أجاء هنا مصادفة . أم أنه حصل على الخريطة من العجوز « زيدان » ؟ وماذا يهمّ الآن وقد اكتشف أخيراً مكان الكنز !

أسرع « عامر » فى الدخول لتحذير الآخرين ، وأخبرهم بوصول « مجاهد » واكتشافه الكهف ، وأشار عليهم بالاختباء فى كهف الغابة السحرية الخارجى ، حيث يسهل عليهم الهرب إذا ما دخل « مجاهد » وعصابته كهف الآثار .

ولكن « عالية » اقترحت عليهم أن ينتظروه فى كهف الكنز المظلم وسط التماثيل . ويمكنهم أيضاً أن يختبئوا وراءها ، أو أن يقفوا جامدين بلا حراك ، فقد يظنهم « مجاهد » من بين التماثيل الحقيقية ! ! فوافقوا على هذا الاقتراح المثير لما فيه من طابع المغامرة ، ودخلوا كهف الكنز ، ووقفوا بلا حراك ، وقد اتخذ كل منهم وضعاً فرعونياً معيّناً ! !

وفجأة همس لهم « عامر » قائلاً : كان يجدر بنا أن نقفل باب الكنز الخشبى علينا ، « فمجاهد » لن يتمكّن من التوصّل إلى طريقة فتحه ! فقال « عارف » : الأفضل أن نتركه مفتوحاً ، إذ لو أغلق « مجاهد » الباب علينا بالمزلاجين

الحديديين من الخارج لسجننا هنا إلى الأبد !

أما « زاهية » فقد اختارت تمثالاً للإلٰه « حرمخيس » وله رأس صقر ، ربما ظنته من أبناء عمومتها ، ووقفت على كتفه صامتة ، كأنما هي تدرك رهبة الموقف !

وبعد قليل سمعوا صوت صرير الباب الخشبي ، وشبح « مجاهد » يطلّ بحذر ، ووميض ماسورة مسدّسه يلمع فى الظلام !

جحظت عينا « مجاهد » وهو يصوّب مسدسه إلى التماثيل بيد مرتجفة ، وصاح فيهم بصوته الجهورى الأجشّ : ارفعوا الأيدى !!..

كان المغامرون يكتمون الضحكات بالرغم من الخطر المحدق بهم — وشرّ البليّة ما يضحك ! — فقد خمّنوا أنه اعتقد ، كما اعتقدوا هم من قبل ، أن الكهف يعجّ بالأحياء !

وعلى حين فجأة رنّ صوت « زاهية » فى أرجاء الكهف وهى تقول : « زاهية » مسكينة ! فارتبك « مجاهد » وصرخ يقول : من هناك !.. ثم تقدّم خطوة إلى الأمام فاكتشف حقيقة التماثيل . فضحك وقال كأنه يعاتب نفسه على غبائه : أنا غبى !.. وهنا صرخت « زاهية » : غبى ! غبى !..



جحظت عينا « مجاهد » وهو يصوب مسدسه إلى التماثيل بيد مرتجفة . وصاح فيهم بصوته الجهورى الأجش : ارفعوا الأيدى ! . .

فصاح « مجاهد » وهو يشهر مسدسه : من هناك ! لا بدّ أنه أحد الأطفال ! انتظروا حتى أضع يدى عليكم ياملاعين !

قال هذا ثم هرول خارجاً من الكهف ، وقفل الباب الخشبي وراءه ، وأحكم غلقه بالمزلاجين الحديديين !!..

صمتوا طويلاً والذعر يتملكهم ، إلى أن نطق « عامر » وقال : أسمعتم هذا ! نحن الآن سجناء ! فالباب لن يفتح من الداخل . لقد كنت مُصيباً عندما اقترحت أن نختبئ فى الكهف الخارجى . والآن ما رأيك يا « عالية » فى أفكارك النيّرة !!..

صمتت « عالية » وهى تشعر فى قرارة نفسها بالكسوف والحرج ، فهى قد تسببت باقتراحها فى هذه المصيبة ! وقال « عارف » : سنبقى هنا فى مكاننا حتى يطلق « مجاهد » سراحنا .. هذا إذا فعل !.. وسنرى المجرمين بأعيننا وهم ينقلون الآثار قطعة قطعة ، يعبئونها فى الصناديق وينقلونها بالطائرات !

وقال « **سمارة** » : إنى أصبحت لا أميل إلى هذه المغامرة . لو كان فى وسعنا أن نفعل شيئاً لاختلف الأمر .. ولكننا عاجزون تماماً !

لم يكن أمامهم إلاّ الانتظار . فتوجّهوا إلى الاستراحة ،

جلسوا على المقاعد الخشبية صامتين مهمومين .

وبينما هم كذلك ، إذا بهم يسمعون صوت طائرة ، فذهب « عامر » إلى الثغرة المفتوحة ، وأطلّ منها وصاح فى دهشة : إنها طائرة صفراء اللون ! تتبعها من بعيد طائرة زرقاء ! إنهم يتسلّحون بالمزيد من الطائرات والرجال !

قال « **سمارة** » : والآن فلننتظر أن يحدث الكثير ..

وقالت « **عالية** » : ياللعار ! وسنقف أمامهم مكتوفى الأيدى !

وقال « **عامر** » : لو أمكننا فقط أن نتصل بخالنا « ممدوح » ..! ولكن كيف ؟ لا وسيلة أمامنا للخروج من هذا الكهف .. أو من هذا الوادى الملعون . فقال له « **سمارة** » : بل توجد وسيلة واحدة !.. فسأله « **عامر** » بدهشة : وما هى ؟ فأجابه « **سمارة** » : بالطائرة !!..

ظلّ « عامر » يفكّر طويلاً إلى أن قال : نعم .. هذا صحيح .. فالطائرة هى الوسيلة الوحيدة يا « سمارة » . لا شك أنها مغامرة كبيرة ومجازفة خطيرة .. ولكنى سأقدم عليها .

سادهم الصمت إلى أن قطعه « عارف » فقال : ما ذاتعنى ؟ إنك تجهل قيادة الطائرة !.. فأجابه « عامر » : إذا كنت أجهل قيادة الطائرة ، إلاّ أنه يمكننى أن أختبئ فى إحداها !!

فقالت له « عالية » وصوتها يتهدّج : أنا أعارض هذه الفكرة ! فماذا لو اكتشفوك وقبضوا عليك ! لا تتركنا يا « عامر » !

فطيّب « عامر » خاطرها وقال : هذه هى الوسيلة الوحيدة أمامنا يا « عالية » . وستمكثين هنا مع « عارف » و « سمارة » و « زاهية » ، حتى أعود إليكم بالنجدة مع خالى « ممدوح » !

هذا كلام سهل . . . ولكن هل يمكن تحقيقه !..

قال « عارف » : ولو أن الفكرة جميلة ، إلا أنها تبدو مستحيلة التنفيذ ! كيف ستصل إلى الطائرة ونحن محبوسون هنا يستحيل علينا الخروج ؟!

فقال « عامر » بعد تفكير عميق : عندى خطّة ! ستظلّون أنتم فى مكانكم هنا فى انتظار وصول « مجاهد » وعصابته . أما أنا فسأتحوّل إلى تمثال فرعونى فى متحف الآثار ! ! ! وسوف ينخدع الرجال فىّ كما انخدع فينا « مجاهد » من قبل . وسأنتهز فرصة انهماك العصابة وأتسرّب إلى الخارج . وسأذهب توًّا إلى الممرّ وأختبئ . داخل إحدى الطائرات انتظاراً لإقلاعها . ألم ننجح فى أن نختبئ كلّنا فى طائرة من قبل ؟ أما ما سوف يحدث بعد ذلك فسأتركه للظروف ، ولكنى آمل خيراً . فليس أمامنا من وسيلة غير ذلك . . وهى آخر خيط من أمل تبقّى لنا . .

توجّهوا جميعاً إلى كهف الآثار ، واختاروا له غطاء تابوت ملوّن يرتكز واقفاً إلى حائط الكهف ، بجوار الباب الخشبى ، واختبأ وراءه وكأنه مومياء ! فضحكت « عالية » وهى تقول له : لن يعثر أحد عليك هنا ، حتى لو كان مدير مصلحة الآثار نفسه

قال « عامر » : والآن ادخلوا ولا تقلقوا علىّ ، وسأعود إليكم قريباً بالنجدة مع خالنا « ممدوح » .

* * *

ظلّ « عامر » يربض فى مكانه وراء غطاء التابوت الملون ما يقرب من الساعة ، إلى أن سمع صوت المزلاجين وهما ينفتحان ، ووقع أقدام كثيرة تدخل الكهف ، وأصوات تتكلم بنبرات ملؤها الدهشة والتعجب والفرحة . تعرّف من بين هذه الأصوات على صوت « مجاهد » و « معروف » فقط أما صوت « حليمو » فلم يكن من بينها ، إذ كان ما زال مقيداً بالحبال فى جذع الشجرة ! كيف حاله ياترى ؟ هل مازال مغشيًّا عليه ؟ أم أنه يموت الآن جوعاً وعطشاً ؟

ثم رأى الضوء فجأة وهو يغمر الكهف ، فأدرك أن العصابة قد استعدّت بكشافات قويّة . ثم سمع صوت الأقدام وهى تغادر كهف التماثيل إلى كهف البرديّات والجعارين . وعندما

سكت الصوت تماماً وتأكد من خلوّ المكان ، أطلّ برأسه خلسة فوجد نفسه وحيداً ، فأسرع فى الخروج وهو يعدو بأقصى سرعته !

ولما وصل إلى الكوخ لم يجد أثراً لمخلوق ، فأدرك أن العصابة بكامل أفرادها فى الكهف ، ولا غرابة فى ذلك ، فهم فى حاجة إلى كل يد عاملة لتنقل الكنوز الثقيلة ! وشاهد الطائرات الثلاث ، البيضاء والصفراء والزرقاء ، وهى تجثم متجاورة على الممرّ .

كان لديه متّسع من الوقت للبحث فى الكوخ المفتوح عن دليل ضد العصابة ، ويكشف عن أغراضها ، ويفضح أفرادها . ثم العثور بعد ذلك على مكان مناسب فى طائرة من الطائرات الثلاث يختفى فيه ، فالعصابة لن تقطع المسافة الطويلة بأحمالها الثقيلة فى أقلّ من ساعتين أو ثلاث ساعات !

دخل الكوخ ، فرأى بعض الملابس على السرير ، وسترة معلّقة على مسمار فى الحائط . ولما بحث فى جيوبها عثر على مفكرة صغيرة أخذ يقلّب صفحاتها . كانت تحوى أرقاماً وجُملاً لم يفقه منها شيئاً . فأدرك أنها مكتوبة بالشّفرة ! . . لا بأس . . فهى ليست من مهامّه . . بل هى من اختصاص

خاله « ممدوح » ، عليه هو أن يفكّ ألغازها ورموزها ! فدسّ المفكّرة فى جيبه وخرج مسرعاً إلى طائرة الرئيس « مجاهد » البيضاء ، ولما عاينها وجد فى مؤخّرتها بعض الملابس الثقيلة والبطاطين . فقرّر أن يختفى تحتها بعيداً عن عيونهم ، حتى يصل إلى . . . . إلى أين ؟؟.. هذا لا يهمّ ما دام خارج الوادى الرهيب ! وكان يشعر بالتعب والإرهاق ، فدسّ نفسه تحت كومة الملابس وراح فى النوم .

* * *

أما « عارف » و « سمارة » و « عالية » ، فقد ظلّوا فى غرفة « الاستراحة » ، إلى أن دخل عليهم رجال العصابة ، وكانوا ستة رجال .

كانت مفاجأة مذهلة لرجال العصابة أن يجدوهم فى مثل هذا المكان . فأخذوا فى استجوابهم ونهرهم وتهديدهم فى قسوة متناهية ، ولكنهم لزموا الصمت المطبق ، على حين كانت « زاهية » تختفى تحت الأريكة ! وأخيراً قال « مجاهد » : على كل حال لا خوف علينا من هؤلاء الأطفال !! ما دمنا سنغلق عليهم باب الكهف . والآن هيّا بنا ننقل دفعة من الكنز إلى الطائرات فوقتنا ثمين ! وعندما نرجع ثانية سيكون لنا معهم

حساب عسير !!.

وعندما غادر رجال العصابة الكهف بعد أن أحكموا غلقه عليهم ، هدأت أعصابهم ، وقال « عارف » : وماذا سنفعل الآن ؟..

لا شىء طبعاً !.. ماذا يمكنهم أن يفعلوه ؟ يالها من ورطة !.. ليس أمامهم إلاَّ انتظار وصول « عامر » !.. ولكن ماذا يفعل « عامر » الآن ؟!. هل تمكّن من الفرار أم إنه ما زال مختفياً وراء التابوت ؟ أو ربما فى الطائرة !. أو ربما اكتشفته العصابة وهو الآن بين أيديهم !

وكانت « عالية » تستند على الأريكة وهى تتأمل الكليم الأسيوطى برسومه الفولكلوريّة الرائعة . وكانت تعجب لهذا الكليم المعلّق على الحائط . أمَا كان الأجدر وضعه على الأرض الصخرية العارية الباردة !!. فقالت « لعارف » و« سمارة » : ساعدانى لننزع هذا الكليم ونبسطه على الأرض .

كشفت إزاحة الكليم عن مفاجأة أذهلتهم ! فقد كان يخفى وراءه ثغرة فى الحائط الصخرى ، يبلغ قطرها حوالى نصف متر تقريباً . .

وقفوا أمام الفتحة الصغيرة وكأنها طاقة القدر فُتحت لهم !

إلى أين ستقودهم هذه الثغرة ؟ إلى الخلاص أم إلى طريق مسدود !

صوّب « عارف » البطارية داخلها فبدّد ضوؤها الظلام ، ورأى طريقاً ضيّقاً لا يحدّ عمقه البصر ! فقال « سمارة » : نحن نجهل ما ينتظرنا فى هذه المفازة ، ولكنها مهما كانت فهى أرحم لنا من هذا السجن وآمن . . تعالوا نجرّب حظنا ، وسنسدل الكليم فى مكانه كما كان ، لنخفى أثرنا عن العصابة عند عودتها .

دخلوا الواحد وراء الآخر ، تسبقهم « زاهية » تستكشف لهم الطريق ! وساروا نصف ساعة فى سراديب ودهاليز ضيّقة متعرّجة ، نحتتها الطبيعة فى الصخر الأصمّ ، حتى كاد اليأس يصيبهم . وبغتة دخلوا كهفاً واسعاً ، وسمعوا صوت « زاهية » يأتيهم وهى تغنى وتقهقه ، وتقلّد مواء القط « مرجان » وصفير القطار . وكان صدى صوتها يتردّد فى أرجاء الكهف .

هذا الصدى مألوف لديهم !.. إنه صدى الكهف المتكلّم !.

فصاحت « عالية » بأعلى صوتها : الكهف المتكلّم . . فسمعوا صدى صوتها يتردّد : المتكلّم !.. المتكلّم !.. المتكلّم !..

* * *

ما كادوا يدخلون مأواهم فى الكهف الصغير عن طريق الكهف المتكلّم ، حتى سمعوا الأزيز المعهود ، وشاهدوا الطائرات الثلاث وهى تحلّق فوق رءوسهم .

قالت « **عالية** » : إنهم يحملون الكنوز إلى مكان مجهول . . وسيعودون لنقل ما بقى فى الكهف من آثار . ولكن هل « عامر » معهم ؟؟ فأجابها « سمارة » : إن ما نعرفه عن « عامر » يؤكّد لنا أنه فى إحدى هذه الطائرات !

ناموا وهم يشعرون بالطمأنينة ، فقد نجوا من شر « مجاهد » وعصابته ، وعلى أمل عودة « عامر » قريباً .

وفى الصباح استيقظوا كالعادة على صوت أزيز الطائرات ! أهو « عامر » وصل لإنقاذهم ؟ أم هو « مجاهد » وعصابته ؟

إنهم لا يعتقدون أنه « عامر » . فالوقت لم يتسع أمامه للبحث عن خالهم « ممدوح » .

قالت « **عالية** » : كان بودّى أن أرى وجه « مجاهد » حينما ترتسم عليه الدهشة والمفاجأة وهو يدخل الكهف ولا يجدنا !

وكان « سمارة » يفكّر فى ركن من الكهف الصغير ، وقال لهم : سوف تجتاز العصابة الطريق أمامنا بعد قليل وهى فى سبيلها إلى الكنز . سنراقبها بحذر ما أمكننا ، إلى أن تبتعد ،

ثم سأتعقّب أنا أثرها حتى تدخل الكهف ! !.. ما رأيكم فى ذلك ؟

فسأله « عارف » : وما جدوى هذا التعب !.. فأجابه « سمارة » وهو يضحك : وعندما أتأكد أنهم دخلوا جميعاً كهف الكنز ، سأتلصّص وراءهم ، وأقفل عليهم الباب الخشبى بالمزلاج ! !..

فصاحت « عالية » وهى تهلّل من الفرح : وسنسجنهم كما سجنونا ! يالها من فكرة بارعة !

وصاح « **عارف** » : وأخيراً . . لقد وقعت العصابة فى المصيدة ! .





العقيد « ممدوح »

أما « عامر » فقد استيقظ فجأة على صوت المراوح وهى تدور ، والطائرة وهى تعلو فى الجو . لم يكن يجرؤ على الحركة ، وأيّة إشارة منه قد تدلّ على مخبئه .

كاد الحر يخنقه وهو يقبع تحت الملابس والبطاطين الثقيلة . ولكن العذاب يهون فى سبيل الخلاص .

وعندما حطّت الطائرة على الأرض ، نظر من فجوة صغيرة فى مخبئه ، فرأى « مجاهد » و « معروف » وهما يغادران الطائرة ، يحملان بينهما صندوقاً صغيراً ، تعرّف عليه توًّا ، فهو صندوق العملات المعدنية الثمينة .

وكان « عامر » قلقاً فقد يتطلع أحدهما وراءه ، أو يرجع ليأخذ شيئاً من كومة الملابس . فتفشل المغامرة .

كان ضوء الفجر يلوح فى الأفق عندما نظر « عامر » من نافذة الطائرة . رأى له فاً من الرجال الأشداء يرحبّون « بمجاهد » و « معروف » ، ثم يتوجّهون جميعاً صوب كوخ صغير بعيد . وكانت الطائرة تقف فى سهل منبسط على الرمال اليابسة . وكانت الأضواء الخافتة القليلة تتناثر فى الصحراء . كما رأى عن بُعد عدداً من سيارات النقل الضخمة تقف فى الانتظار !

انتقل « عامر » إلى الجانب الآخر من الطائرة ونظر من النافذة ، ففوجئ بما جعل قلبه يقفز من بين جنبيه من الفرح . إنه ماء البحر يلوح بعيداً وهو يتلألأ تحت ضوء الفجر !.. أهو ماء المحيط ! أو البحر الأبيض أو الأحمر ! أهى بحيرة المنزلة أو البرلس أو البردويل فى الشمال ، أو قارون فى الفيوم ؟ أو قد تكون بحيرة تانا فى الحبشة .. الله أعلم !!..

مهما يكن ، هذه هى ذى الفرصة سنحت أمامه .

خرج من باب الطائرة وهو يتلصّص ، فوجد المكان خالياً . فأخذ يعدو نحو البحر ، وكأنه فى مسابقة للمائة متر عدواً ! وفى الاتجاه المضاد الذى سلكه « مجاهد » .

توقّف عن العدو وهو يلهث بعد أن ضمن السلامة وأمِن من المطاردة . وسار على مهل لنصف ساعة ، حتى وصل إلى

طريق أسفلتىّ جميل يمتد بمحاذاة الشاطئ المتعرّج .

وقف وحيداً على حافة الطريق العام وهو يتلفّت حوله كالتائه ! إنه لا يدرى أين هو ! على كل حال لا يهمّ الآن أين هو ! المهمّ أنه خرج بسلام من الوادى الرهيب .

لاحت له فى الأفق الأضواء الكاشفة لسيارة تنهب الأرض ، وكانت تقترب منه رويداً وهى تحمل له معها الأمل .

كانت سيارة « جيب » صفراء اللون . فأشار لها بالتوقّف فوقفت بحذائه ، وقرأ على لوحاتها المعدنية كلمة « سواحل » .

أخيراً ! الحمد لله إنه فى مصر ! وليس فى الحبشة !

كانت السيارة تحمل عدداً من الجنود ، وصاح فيه السائق بلهجة الآمر : قف ! من أنت ؟ فأجابه « عامر » : أين نحن ؟ فأجابه السائق وهو ينظر إليه بعين الشكّ : بالقرب من الغردقة ! ألا تعلم أين أنت !! وماذا تفعل هنا ؟ فقال « عامر » وقد هدأت أعصابه ، ودخلت الطمأنينة إلى نفسه : إنى أبحث عن خالى العقيد « ممدوح » قائد السواحل !..

وما كاد السائق يسمع منه ذلك حتى برقت عيناه من الدهشة والمفاجأة . وترجّل الجنود من السيارة وأحاطوا « بعامر » من كل جانب ، وقال السائق : أهو أنت !! وأين إخوتك ؟

إن قوّة السواحل بأسرها لا عمل لها إلا البحث عنكم ! والدوريّات تجوب المنطقة ليل نهار فى أثركم . أين اختفيتم ؟؟..

فأجابه « عامر » : خذنى حالاً إلى العقيد « ممدوح » .

دخل « عامر » فجأة على خاله « ممدوح » فى مقر قيادته . وما كاد يراه حتى هبّ واقفاً وقد ذهل من المفاجأة السّارة ، وصاح قائلاً : ماذا ! « عامر » ! أين كنتم ؟ هل أنتم بخير ؟ وأين « عارف » و « عالية » و « سمارة » ؟ فقال « عامر » : لقد أوقعتنا الظروف والصدف على الرغم منا وسط مغامرة غريبة .

ثم أخذ يقصّ على خاله ما حدث بالتفصيل ، إلى أن قال : على فكرة ! لقد عثرت على هذه المفكّرة .

تصفّح « ممدوح » المفكرة بعناية وقال : إننا نتعقّب هذه العصابة الدولية من المهربين منذ مدة طويلة . وهذه المفكّرة تحوى الشفرة التى يستعملونها ، وأسماء رجال العصابة وعناوينهم ، وسيكونون عما قريب فى أيدينا ، يسقطون كالثمرة الناضجة ! إن هذه المفكّرة لا تقدّر بثمن ! إنك تستحقّ وساماً يا « عامر » !..

ثم بدأ العقيد « ممدوح » فى اتصالات تليفونية عاجلة ، وفى إصدار الأوامر لرجاله ليكونوا على أهبة الاستعداد .

ثم قال « لعامر » : سيزوّدنا الجيش بطائرتى هليكوبتر

لمفاجأة العصابة فى الوادى . فقال له « عامر » : ولكنى لا أعرف الطريق إلى هذا الوادى !! فأجابه « ممدوح » : هو مبيّن فى هذه المفكّرة ، والطيارون المصريون يعرفون كل شبر فى هذه السلسلة من الجبال التى تمتد على طول الساحل حتى حدود السودان ! والمهمّ أن ننقذ « عارف » و « عالية » و « سمارة » أولاً . أمّا العصابة فسنقبض عليها فى النهاية حتماً . فنحن نعرف الآن كل شىء عنها ، والفضل للمفكّرة التى زوّدتنا بها !

قال « عامر » : لقد تركت « عارف » و « عالية » و « سمارة » و « زاهية » وهم سجناء فى الكهف . ولا ريب أن « مجاهد » قد عاد الآن إلى الوادى ، فهو يروح ويجىء فى حريّة وبلا توقّف . فيجب علينا الإسراع قبل أن يلحق بهم الأذى على أيدى العصابة

فقال « ممدوح » : سأطير مع رجالى بعد ساعتين ، وستبقى أنت هنا ، لأنى أتوقّع معركة عنيفة بالرشاشات مع العصابة ! فقاطعه « عامر » : ماذا تعنى ! لقد عاصرت المغامرة منذ بدايتها ، وتريدنى الآن أن أتخلّى عنها ، وأن تحرمنى من نهايتها !!. ومع ذلك « فعارف » و « عالية » و « سمارة » معكم وسط المعركة . ولا بدّ أن أشاركهم الخطر !

فضحك « ممدوح » وأجابه : كنت أداعبك . فكيف

أتركك هنا وحدك ؟ ستأتى معنا طبعاً !

* * *

هبطت الطائرتان عمودياً على الممر الضيّق ، وهما تحملان العقيد « ممدوح » و « عامر » ، وعشرة من جنود السواحل البواسل المسلحين بالمدافع الرشاشة !

وكانت الطائرات الثلاث ، البيضاء والصفراء والزرقاء ، تقف متجاورة وهى خالية من ركابها !

قال « عامر » لممدوح : لقد وصلت العصابة . فلنسرع ونفاجئها فى الكهف حيث لا مجال هناك لهرب واحد منهم ! وسنمر الآن على حجرتنا فى الكهف الصغير .

سارت القافلة العسكرية يقودها « عامر » إلى أن وصلت قرب الإسطبل ، حيث كان « خليمو » لا يزال فى مكانه ، مقيداً فى الشجرة ، وهو يكاد يشرف على الهلاك .

فوجئ الجميع بالمنظر الغريب ، وقال « ممدوح » : من هذا ؟ ومن قيّده هكذا ؟

أجابه « عامر » : هذا « حليمو » أحد أفراد العصابة ، قيّدته بنفسى فى الشجرة . لندعه الآن كما هو وسنعود إليه فى طريق الرجوع لنحمله معنا !



قال العقيد « مملوح » : من هذا ؟ ومن قيده هكذا ؟

واصلوا السّير إلى أن وصلوا إلى الكهف الصغير ، حيث كانت تنتظرهم المفاجأة الكبرى ، والتى لم تكن تخطر « لعامر » على بال !

كان « عارف » و « عالية » و « سمارة » و « زاهية » يستقبلونهم بالصياح والتهليل والفرح .

ذهل « عامر » من المفاجأة ، فقد تركهم سجناء فى كهف الكنز ، فإذا بهم الآن فى الكهف الصغير . فكيف أمكنهم الإفلات والخلاص ! يالهم من شياطين حقاً !

روى عليهم « عارف » قصة هربهم ، وكيف أن « سمارة » أغلق باب الكنز على العصابة . . . فالعصابة دخلت الآن كالفئران فى المصيدة !

* * *

استسلمت العصابة بدون أية مقاومة أمام الهجوم العنيف المباغت ، ووقعت فى يد العدالة لتلقى جزاءها العادل .

* * *

حلّقت الطائرات العمودية العسكرية فى الجو . وكان المغامرون ، و « زاهية » فى قفصها بين أحضان « سمارة » ، ينظرون تحتهم إلى الوادى العجيب للمرة الأخيرة !

فقال « ممدوح » : انظروا إلى الوادى جيداً ، فسوف تحتلّ أخباره الصفحات الأولى في جميع الصحف غداً : وادى الكنز !..

قال « عامر » : بل الوادى الرهيب !

صمت العقيد « ممدوح » طويلاً وهو يتطلّع إلى الأودية والجبال ثم قال فجأة : أتتذكّرون أننى قلت لكم قبل السفر إننى منهمك فى عملية سرّية خطيرة ، وإننى سأخبركم بتفاصيلها.

فقالت « عالية » بلهفة : نعم .. نتذكّر ذلك جيّداً .. ما هى هذه العملية ؟ وهل تمت ؟..

فأجابها « ممدوح » وهو ينظر إلى المغامرين بفخر وإعجاب : تمت والحمد لله بنجاح باهر . وأظنكم تعرفون تفاصيلها الآن أكثر منى .. هذه العملية هى تعقّب هذه العصابة بالذات والقبض عليها ، والعثور على كنوز الآثار الفرعونية . والآن تم القبض عليها بفضل مغامرتكم وشجاعتكم وإقدامكم .

(تمت)



عامر عاليه عارف مرجان

لغز الوادى الرهيب

على أثر غلطة كبيرة وقع فيها المغامرون الثلاثة : « عامر » ، و « عارف » ، و « عالية » . ومعهم « سمارة » ، والببغاء « زاهية » الداهية ، وجدوا أنفسهم محاصرين وسط واد رهيب ، بجباله ودروبه ومغاوره وكهوفه السحريّة . وهم يقتفون أثر أخطر عصابة دولية تبحث عن أثمن كنز فى العالم !

فهل تمكنوا من الإفلات من هذا الوادى الرهيب ، الذى لا مدخل له ولا مخرج ؟؟.. وهل قبضوا على أخطر عصابة دولية ؟؟ وهل اكتشفوا أثمن كنز فى العالم ؟؟

هذا ما ستجد له جواباً فى لغز الوادى الرهيب !



دار المعارف